دورة

«ابن زيدون»

ندوة الحضارة العربية الإسلامية والغرب
من الخلاف إلى الشراكة

الأبحاث والمناقشات

القسم الأول : الجزء الأول

الكتّاب

د. محمد الرميحي — د. جل أنيدجار

الشيخ محمد علي التسخيري — د. ميلاد حنا

د. فرد هاليدي — د. حازم الببلاوي

د. محمد سليم العوا — د. بشارة خضر

د. أنطوان زحلان

الكويت

2006

أشرف على طباعة هذا الكتاب وراجعه الباحثان

بمؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

أ. محمود البجالي

أ. عدنان بلبل جابر

الصف والإخراج والتنفيذ

محمد العلي

أحمد متولي **أحمد جاسم**

بثينة الدوماني

قسم الكمبيوتر في الأمانة العامة للمؤسسة

فهرسة مكتبة الكويت الوطنية أثناء النشر

٨١٠،٩٣١٢ دورة ابن زيدون: الأبحاث والوقائع/ محمد الرميحي... (وآخ). -

ط١. - الكويت: مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري، ٢٠٠٦

ج١ (١٩٠٤ص).

«الجزء الأول: ندوة الحضارة العربية الإسلامية والغرب: من الخلاف إلى الشراكة.

١ - الأدب العربي - الأندلس. ٢ - الشعر العربي - الأندلس.

٣ - الحضارة الإسلامية - الأندلس ٤ - الحضارة العربية - الأندلس.

أ - الرميحي، محمد (م.مشارك) ب - مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين

للإبداع الشعري. الكويت (ناشر)

ردمك: ISBN : 99906 -72 - 26 - 1

رقم الإيداع : Depository Number: 2006 / 00049

مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري

هاتف: 2430514 **فاكس:** 2455039 (00965)

E-mail : kw@albabtainprize.org

الكويت

2006

تصديـــــر...

يســعـدني أن أقـدم هـذا الكتـاب «دورة ابـن زيدون – الأبحــاث والوقـائـع» الـذي يضـم قسمـه الأول أبحاث الندوة الأولى: «ندوة الحضـارة العربية الإسلامية والغرب: من الخلاف إلى الشراكة» وعددها سبعة عشر بحثًا قدمت في ست جلسات دارت على مدى يومين من أيام الدورة التي عقدت في قرطبة في إسبانيا في الفترة من ٤ – ٨ من أكتوبر ٢٠٠٤.

ويضـم قسمه الثاني أبحاث الندوة الأدبية الخاصة بالجوانب التاريخية والحضارية والتعـايش الاجتمـاعي والدينـي في الأندلس، وبشاعر الأندلس الكبيـر ابن زيدون الذي تربع علـى قمـة هـرم الشعـر فيـها، وتميز شعـره بعذوبة الكلمة وعمق المعنى والإحساس المفعم بالحرارة.

وعدد أبحـاث الندوة الأدبية أربعة عـشر بحثًا، قدمت أيضًا في ست جلسات على مدار يومين آخرين من أيام الدورة. هذا بالإضـافة إلى المناقشات والتعقيبات التي تلت كل جلسـة من هذه الجلسـات، وملخصـات لهذه الأبحاث القيمـة باللغـة العربيـة والإنجليـزية والإسبانية والفرنسية، وضعناها تيسيرًا على القارئ ليتعرف محتوى الأبحاث بسهولة ويسر، ثم ليتعمق بعد ذلك سابرًا أغوارها، وصولاً إلى الفائدة المأمولة والأهداف المرجوة، والتي نرجو أن تصل مضامينها إلى أفئدة الناس جميعًا على هذا الكوكب السيار، الذي أصبح قرية صغيرة بفضل ثورة التكنولوجيا والاتصـالات الحديثة، وذلك ليعمّ السـلام والوئام في مشارق الأرض ومغاربها.

لقد شـهدت جلسات الندوتين تدخلات ومناقشات وحوارات مهمة ومعمقة لأساتذة كبـار وعلمـاء أفـاضـل أجـلاء من مخـتلف المذاهب والنحل والمدارس الفكرية في الشـرق والغرب، أثرت الموضوعات التي طرقت، وأكدت جميعها نبذ التعصب والصراع والتطرف بكل أشكاله، وميـزت بين الإرهاب والمقـاومـة المشروعـة للشـعوب المقهـورة والمحتلة والتي تبتغي الحرية والخلاص في ظل ديمقراطية حقيقية تعطي كل ذي حق حقه.

كما أكدت الدورة بجلساتها الفكرية والأدبية على منهج التسامح والتلاقي والتعايش بين الشعوب والدول بعيدًا عن الصراعات التي تتخذ من الدين أو الفكر ستارًا لها، ودافعها الحقيقي غوامض لا يعرف كنهها إلا أصحابها.

وأستذكر هنا ما قلته في مفتتح الدورة وبحضور سمو الأميرة «إيلينا» التي شرّفت الحفل نيابة عن والدها جلالة الملك (خوان كارلوس) عاهل إسبانيا وراعي الحفل: «إن إيماننا المشترك هو الاعتراف بأن التنوع والاختلاف ضرورة لا غنى عنها لازدهار البشرية وسعادتها، لأنه لا أحد يمتلك الحقيقة المطلقة.. الحقيقة المطلقة أن البشر سواء.. ولدوا أحرارًا ومن حقهم أن يختاروا مسيرة حياتهم، وأن يتنافسوا في ميدان العمل ويتحاوروا في ميدان الرأي، وأن يبقى هذا التنافس وهذا الحوار في دائرة التفاعل لا التناقض والصراع، وفي ذلك يقول المولى تعالى: «ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن». صدق الله العظيم.

حقًا إن البشرية اليوم أحوج ما تكون إلى روح الشعر والسلام والوئام وإلى أن تستعيد نماذج المحبة والتآخي الحضاري التي تجلّت في قرطبة وفي كل أرجاء الأندلس في فترة الحضارة الإسلامية العظيمة المزدهرة، والتي غدت الأندلس في ظلالها نموذجًا لجنة الخلد على الأرض، وسجل الشعراء هذه اللحظة الحضارية الرائعة في عمر البشرية بأحرف خالدة خلود الشعر العظيم.

إننا نسعى لأن يستعيد الشعر دوره ليكون أداة حوار وتقارب، ومثالاً للتعايش، مؤمنين بلغة الإنسانية المشتركة، لغة الجمال والرقي، لغة الشعر التي تجمع الشعوب لإزالة جدران الكراهية أينما وجدت.

وأخيرًا أتقدم بأصدق كلمات الشكر والتقدير إلى الإخوة الباحثين والمعقبين، ولمن حضروا هذه الدورة وشاركونا تطلعاتنا وطموحاتنا.. فكان هذا الكتاب الذي نضعه بين أيديكم لتنهلوا من معينه أنى رغبتم.. سائلين المولى تعالى أن يتحقق مبتغانا ومرادنا من هذا العمل، خدمة للثقافة والإنسانية.

والله ولي التوفيق...

عبدالعزيز سعود البابطين

الكويت 10 من شوال 1426هـ

الموافق 12 من نوفمبر 2005م

****

أهداف ندوات المؤسسة بشكل عام:

- الإسهام في المساعي المبذولة لإثراء حركة الإبداع العربي في مجال الشعر ونقده.
- التنبيه إلى أهمية رواد الحركة الشعرية العربية بإلقاء الضوء على إنجازاتهم وإضافاتهم.
- خلق فرص للقاء بين المهتمين بقضايا الشعر العربي.
- إثارة اهتمام وسائل الإعلام والمبدعين الشباب بقضايا الإبداع في مجال الشعر ونقده.

وقد أصدرت المؤسسة بمناسبة هذه الدورة الكتب والمطبوعات التالية:

١ - ديوان ابن زيدون ورسائله، شرح وتحقيق الأستاذ علي عبدالعظيم، تقديم ومراجعة الدكتور محمد إحسان النص.

٢ - عصر ابن زيدون، الدكتور جمعة شيخة

٣ - مصادر دراسة ابن زيدون، الدكتور عدنان محمد غزال

٤ - معارضات قصائد ابن زيدون ، الدكتور عدنان محمد غزال.

٥ - عناصر الإبداع الفني في شعر ابن زيدون، الدكتور فوزي خضر

٦ - الأندلس في الشعر العربي المعاصر «دراسة» الدكتور عبدالرزاق حسين

٧ - الأندلس في القصيدة العربية المعاصرة «مختارات» الدكتور عبدالرزاق حسين

٨ - ديوان ابن دراج القسطلي، حققه وقدم له وعلق عليه الدكتور محمود علي مكي.

٩ - الأدب العربي في جزر البليار، الدكتور عبدالرزاق حسين

١٠ - فكاهات الأسمار ومذهبات الأخبار والأشعار. لأبي الحسن علي بن عبدالرحمن بن هذيل الفزاري، تحقيق وتقديم وتعليق: الدكتور عبدالله حمادي

١١- أبحاث ندوة «علي بن المقرب العيوني» مجموعة من الباحثين.

١٢ - الفائزون ... كتيب صغير يحتوي معلومات عن الفائزين.

١٣ - سنوات من العطاء الثقافي (الإصدار الرابع).

١٤ – الشعر في مملكة غرناطة النصرية «باللغة الإسبانية» – الدكتور عبدالله حمادي.

١٥ – القيم والخصال في شجرة الاستشراق الإسباني الوارفة الظلال، الدكتور جمعة شيخة.

١٦ – مقالات عن الأندلس في العقد الأخير من القرن العشرين «اللغة الإسبانية» الدكتور خوسيه دل مريو.

١٧ – ديوان بوح البوادي (الطبعة الثالثة) لعبدالعزيز سعود البابطين.

١٨ – ديوان بوح البوادي «مترجم إلى الفرنسية» لعبدالعزيز سعود البابطين.

١٩ – ديوان بوح البوادي «مترجم إلى الإنجليزية» لعبدالعزيز سعود البابطين.

٢٠ – ديوان بوح البوادي «مترجم إلى الإسبانية» لعبدالعزيز سعود البابطين.

٢١ – ديوان مسافر في القفار لعبدالعزيز سعود البابطين.

٢٢ – مختارات من معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين – مترجم إلى اللغة الإسبانية –

٢٣ – ملخصات أبحاث دورة ابن زيدون باللغات: العربية ، الإنجليزية، الإسبانية.

٢٤ – كتيب إصدارات مؤسسة جائزة عبدالعزيز سعود البابطين للإبداع الشعري.

أولاً: ندوة الحضارة العربية الإسلامية والغرب:
من الخـــلاف إلى الشراكـــة

الجلســـة
الأولـــى

رئيس الجلسة: د. عصام البشير(*):

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد الله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى سائر أنبيائه ورسله أجمعين. أحييكم إخوتي وأخواتي في هذا الصباح الضاحي، الذي تضيء به هذه الكواكب سماء هذه المدينة التي تمازجت فيها الحضارات، وحققت التعايش في أرقى صورة، نزجي من خلالها تحية خاصة للأديب المثقف ورجل الخير والبر والإحسان الأستاذ عبدالعزيز سعود البابطين، ونقول له:

سـأشكر عـمْـرًا إنْ تراخت منيَّـتي
أيـاديَ لـم تُـمـنَـنْ وإنْ هـيَ جـلَّـتِ
فـتًى غـيـرُ مـحـجـوبِ الغنى عن صـديقـهِ
ولا مُظْهـرُ الشّكوى إذا الـنَّـعلُ زلَّت
رأى خُلَّتي من حـيثُ يخْـفَى مكانُهـا
فكانت قَـذى عَـيْنَيـهِ حـتّى تجلَّت

وهذه المجموعة النيّرة التي تضمها هذه القاعة في رحابها، ليس لها إلا أن نقول بأنها أهلَّة تضيء لنا، كما قال الشاعر:

رأيت الـهـلالَ ووجـهَ الحـبـيـبِ
فـكـانـا هـلالـيـنِ عـنـد الـنَّـظـرْ
فلم أدرِ من حـيـرتي فـيـهـمـا
هـلالَ الدجى من هـلال البـشـر
ولـولا الـتَّـورُّدُ فـي الـوجـنـتـينِ
ومـا راعنـي من سـوادِ الشَّـعَـر
لكنتُ أظنُّ الـهـلالَ الحـبـيـبَ
وكنتُ أظنُّ الحـبـيـبَ القـمـر

في هذه الاستهلالة لهذه الجلسة المباركة يسعدني أن يُبتدر الحديث بمعالي الدكتور الشيخ إبراهيم الدعيج الصباح محافظ الفروانية فليتفضل..

---

* وزير الأوقاف والشؤون الإسلامية سابقاً في السودان.

الشيخ إبراهيم الدعيج الصباح(*):

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، الحقيقة أيها الإخوة أنا لست مشاركًا.وددت فقط أن أحيي هذا الجمع الطيب، وهذا اللقاء، بكلمة بسيطة تعبر عمّا يدور في أذهاننا جميعًا، وما نتوخاه من هذا اللقاء.

نلتقي وإيجابيات التاريخ في محرابه، وكأننا أمام استجماع لانبعاثاته ليعطي من جديد ما سما وتميز..

قرطبة التاريخ والحاضر، وهي في الزمان ما بقي الزمان صهرت ما قدمته الأديان للإنسان فانطلق الانطلاق أخذًا من كلٍ للكل ليثري الحضارة من خلال وحدة تنوعها.

قرطبة وبلادها تستلهم تاريخها لتصنع تاريخ المستقبل، مستقبل العدالة والتسامح والمحبة، المحبة تلخص قيم المسيحية، كما تلخص العدالة قيم الإسلام، بالرغم مما تحاوله جحافل الشر والإرهاب، من خداع المؤمن بإلباس إيمانه ثوبًا مستعارًا غريبًا عنه يذهب بإيمانه فكريًا وفقهيًا، معظمنا في هذه القاعة ومثيلاتها مسؤولون عن التصدي لشرور يدفع الإسلام ثمنها غاليًا بالدرجة الأولى قبل بقية الإنسانية.

بهذه الروح أفهم وأشكر دعوة الأخ عبدالعزيز البابطين الذي له الفضل في جمع هذه النخبة التي أفخر بتواجدي معها، مرحبًا بها في قرطبة التي يسعدني أن أعبر عن مشاعرها لكونها توأم الفروانية في الكويت بصفتي محافظها، ومنذ ما يزيد عن السنة أقيمت الاحتفالات في قرطبة تيمنًا بهذا التآخي الذي يعود الفضل في إنجاحه لسعادة عمدة قرطبة السيدة روصا أجويلار ريفيرو.

وما دعوة الأخ البابطين وتآخي المناطق في بلدينا إلا إشارات بسيطة على ما يربط الكويت بإسبانيا من وشائج متينة، وبكل اعتزاز يعتبر عالمنا العربي إسبانيا رسولنا لعالم الغرب.

---

* محافظ الفروانية بدولة الكويت.

- حاصل على درجة الدكتوراه في الدراسات الإسلامية (دراسات سياسية دستورية شرعية) من جامعة بيرمنجهام - بريطانيا.

رسـالة الشـرق إلى الـغـرب، والغرب إلى الشـرق، تتـلاقى بثـقـة هنا، حـيث لا بد لمفكري المسيحية والإسـلام من أن يتجاوزوا مـا وقعت فيه مئات الحوارات التي عقدت بين الفريقين في بلدان عدة وهو: اجتزاء الوقائع والنصوص تحاشيًا لإحراج الذات أو الآخر.

لذا أملي ورجائـي، كمـا يأمل كل من آمن بالله إيمانًا سليمًا أن تصل بنا أبحاث هذا اللقاء الميمون للاقتناع بأن الخلق كلهم عيال الله، وأحبهم إليه أنفعهم لعياله، والله سبحـانه وتعالى لا يفرق بين من خلق، لذا فكل تكفير أو إلغاء للآخر وكل اسـتعلاء، يخرج عن إرادة الخالق، حوارنا حوار أحرار..

«والحر من دان إنصافاً كما دينا»

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

رئيس الجلسة:

شكرًا لمعالي الشيخ الدكتور إبراهيم الدعيج الصباح على هذه الكلمة الجامعة.. ويسـعدني أن نبتـدئ مـحـور هذه الندوة التي تدور حـول (صـورة الآخـر)، إذ إن الله سبحـانه وتعـالى جـعل من السنن التي أودعـهـا الكون الطبيـعي والبشـري، التنوع والتعددية، فالتنوع بين بني البشر في أديانهم ولغاتهم وأجناسهم وأعراقهم وأنسابهم من الآيات الدالة على كمـال قدرة الله «ومن آياتهِ خلقُ السمـواتِ والأرض واختـلافُ ألسنتِكُمْ وألوانِكُمْ إنّ في ذلك لآياتٍ للعالمين» (الروم -٢٢)، فهي آية، وثمرة هذا التنوع هو أن يكون التعارف الذي يشكل عامل إثراء وخصوبة وحوار في دنيا البشر نفعًا لهم وتحقيقًا لمصالحهم، ودَرْءًا لمفاسدهم، مما يمكّن كل إنسان من حرية الاختيار، وحرية التفكير، وحرية التعبير، دون مساس بحقّ الآخر أو محوه من الوجود، لتقوم شراكة إنسانية صحيحة نتبادل من خلالها المنافع ونرعى المصالح.

يسعدني أن أدعو كلاً من السادة الأستاذ الدكتور محمد الرميحي، والعلامة الشيخ محمد علي التسخيري، والبرفسور فرد هالدي إلى المنصة لبدء الحديث في هذا المحور.

المتحدث الأول هو الأستاذ الدكتور محمد غانم الرميحي الكاتب والأديب والمفكر المعروف، ورئيس تحرير مجلة العربي سابقًا من الكويت، والحديث في خمس عشرة دقيقة لكل متحدث، ثم يفتح باب النقاش. الكلمة للدكتور محمد الرميحي، فيلتفضل مشكورًا..

****

صــــورة الآخـــــر

أ.د محمد غانم الرميحي

لقـــد كنت قـــبل اليـــوم أنكرُ صـــاحـــبي
إذا لـــم يـــكـــنْ ديـــنـــي إلـــى ديـــنـــهِ دانـــي
وقـــــد صـــــار قلبي قـــابـلاً كلَّ صــــورةٍ
فـــــمـــــرعى لغـــــزلانٍ ودَيـرُ لرهبـــــانِ
وبـيتٌ لأوثـانٍ وكَـــــعـــــبَـــــةُ طائـفٍ
وألـواحُ توراةٍ ومُـــــصـــــحَـفُ قُـــــرآنِ
أديـنُ بـديـنِ الحـبّ أنّـى تـوجَّـــــــــهتْ
رَكـــــائـبُـــــهُ، فـــــالحُبُّ ديـني وإيمـاني

ابن عربي

(كاتب التاريخ مثل صياد السمك، إن اصطاد سمكة لا تعجبه، رماها في البحر)

وورلد ديورانت: قصة الحضارة

نحن والآخر: (1)

من نحن ؟ ومن الآخر؟

السؤال الذي أرقني وأنا أعدّ هذه الورقة في ضوء عنوان الندوة الأوسع (الحضارة العربية الإسلامية و الغرب)، هل نحن هنا هم (المسلمون) وهم حوالي مليار ومائتي مليون نسمة (يشكل العرب ١٥٪ منهم فقط) وهم موزعون على القارات الخمس في هذا العالم

المترامي الأطراف، ويشكلون أغلبية في خمسين بلدًا، وأقلية مهمة في عدد آخر من البلدان، هم مسلمون من إندونيسيا و باكستان وحتى الهند، إيرانيون وعرب وأتراك، هل هذا هو المقصود بنحن؟ ثم السؤال الذي يأتي بعده، وفي أي عصر نتحدث عن المسلمين؟ هل هم المعاصرون اليوم، أم هم الأجداد، في التاريخ الغابر؟ وأية حقبة من التاريخ نعني؟

والحال أن المسلمين، ليسوا جسمًا واحدًا بل هم كيان تعددي مختلف ومتصارع وينظر إليهم الغربي بتعدديتهم وصراعهم ذاك، فيقول هنري كيسنجر «في العقود الثلاثة الأخيرة اندلعت حروب بين الدول الإسلامية أكثر عددًا ودموية من تلك التي اندلعت مع إسرائيل والعالم الإسلامي، وتتميز كل من هذه الصراعات بتطورات وتوترات داخلية»[٢] وإذا كان يصعب على الغرب عمومًا أن تكون له نظرة أُحادية الى الإسلام والمسلمين، كذلك يصعب على المسلمين أن تكون لهم نظرة أحادية الى الغرب[٣]. ولكن (الإسلام) هو الدين الأكثر توسعًا في العصر الحديث،ونسبة معتنقيه تزيد بسرعة أكبر من زيادة السكان في العالم[٤].

والآخر الغرب، أيضًا ليس واحدًا، لا في المكان ولا في الزمان، فهو متعدد في كلا البُعدين، هناك الغرب، بمعنى الدولة العظمى الولايات المتحدة، وهناك أوروبا، وهما اثنتان في التقسيم الأحدث، (القديمة) و (الجديدة). وهناك غرب يقع في الشرق، وربما اليابان هي من أهم دول (الغرب) الحضاري الواقعة في شرق بلاد المسلمين، ونادرًا ما يستعمل المثقفون العرب مصطلح «شرق غرب». فالشرق اسم قديم في تاريخ المسيحية، إلا أنه بالنسبة للمسلمين ليس سوى تسمية الغربي لكل ما يقع خارجه، الغرب يقع بالنسبة للعرب قبل أي شرق آخر. لن نجد بالطبع بين الهند وبلاد العرب اليوم ما بينها وما بين الغرب الفرنسي أو الإنجليزي أو حتى الإسباني في التسميات الجغرافية، وأظن أن هذه حال الهند تجاه غربها الآسيوي. فالغرب هو البلد الثاني أو الوطن الثاني لكل من بلدان هذا العالم الآخر غير المنسجم والذي لا يجمعه إلا ذلك الاسم الغربي «الشرق»[٥] ويذهب دارس عربي في هذا الموضوع للقول:

«إن نظرة متأنية الى الغرب عمومًا تؤكد حقيقة ساطعة هي أنه ليس جسمًا واحدًا موحدًا بل هو متعدد ومتنوع . قد يبدو متكاملاً في بعض وجوهه ومظاهره، لكنه ينطوي أيضًا على تفارق وتغاير في وجوه عدة . وفوق ذلك، فإن أميركا، بحجمها وتفوقها ووزنها ونفوذها وتأثيرها، تبدو أكبر وأفعل من بقية أجزاء الغرب مجتمعة، الأمر الذي يسمح بدراستها على حدة»[٦].

هذه الإشكالية توصلنا إلى القول إن (الغرب) هو الغرب السياسي، وهو أساسًا هنا الولايات المتحدة، وبعض دول أوروبا الغربية، والغرب ليس كدول، ولكن أيضا كثقافة.

هدف الورقة:

لذا وتحديدًا فإني أعني في هذه الورقة (بنحن) العرب المعاصرين، و(الآخر) بالغرب الأوروبي والأمريكي المعاصر. المتشابه ثقافيًا، من مجتمعات صناعية حديثة، والهدف هو محاولة سبر الموضوع من زاوية: كيف ينظر الغرب إلى العرب المعاصرين، وكيف ينظر العرب إلى الغرب المعاصر، وهل هناك طريق للتلاقي؟ أم أن الفراق دائم وحتمي؟

لماذا العرب؟:

لأنه إذا تجاوزنا النظرة (القروسطية) للإسلام والمسلمين، فإن أكبر وأوسع نقد يوجه من الغرب اليوم هو للعرب أولاً، وإن جاءت كلمة (الإسلام)، فهي تستخدم في المنظومة النقدية المعاصرة، لتعني العرب أكثر مما تعني الأتراك أو الإندونيسيين، بقدر ما تعني العرب المسلمين، أي ممارسة العرب للإسلام، وهي نظرة تضع الجميع في خانة واحدة، إلا أن بها بعض الصحة في التعميم، لأن الكثير من الغربيين ينظرون إلى (العرب) و(الإسلام) نظرة متطابقة، حيث يرون أن العرب والبلاد العربية هي (مهد الإسلام) وتنظر بقية الدول والمجتمعات الإسلامية إلى أي تغيير في الموقف الثقافي العربي، على أنه تغيير في الموقف الثقافي الإسلامي، لأن الثقافة العربية مغموسة في وعاء إسلامي، بمعنى أن تأثير العرب على مسيرة التغييرات في الثقافة الإسلامية أكبر وأقوى من أية تأثيرات (من دول إسلامية أخرى).

والشواهد العلمية على ذلك كثيرة، فحركة (الإخوان المسلمون) ينظر إليها الدارسون أنها أقدم حركة سياسية إسلامية في العصر الحديث، وهي التي غذت بأفكارها الكثير من الحركات، بما فيها بعض تيارات الثورة الإيرانية، والدعوة لحرب (الكفار) تأتي من قيادات وكوادر عربية فهي المؤثر في (المتشددين) الإندونيسيين أو الباكستانيين أو الشيشانيين.

العرب هم حاضنو المقدسات الإسلامية، وهم قبلة المسلمين، وحتى أطراف عربية أخرى تؤكد هذه النظرة، فحتى فترة تاريخية متأخرة، لم يكن الجزائري أو المغربي يعتقد أن لا يكون المسلم إلا (عربيًا)، فلم يكن الإنسان العادي هناك يتصور أن يكون هناك عربي ومسيحي في نفس الوقت، وهي نظرة كثير من الغربيين.

لقد أضيف إلى توحد العربي والمسلم في الذهن الغربي عاملان، الأول أن العرب يملكون معظم مخزون (النفط) في العالم، وهو عصب الصناعة وربما الحضارة المعاصرة، وحوله يدور الصراع الدولي، وأن العرب هم من دخلت معهم الصهيونية في إسرائيل في صراعهم، وأصبح (الذنب الغربي) ضد اليهود لا يغادر عناوين الأخبار، لأن العرب في صراعهم مع اليهود، يذكّرون الغرب كل يوم بما اقترفوه ضدهم، وهم (الغربيون) يريدون أن ينسوا أو يكفّروا عن هذا الذنب.

كل تلك العوامل ساعدت في أن يصبح (العرب) هدف الضغط، وبلادهم مسرح التحولات جراء عدم الفهم المتبادل.إذا أضفت لذلك موقع البلاد العربية جغرافيًا وأنها موطن الديانات الثلاث، فاليهودي في نيويورك والمسلم في إندونيسيا والمسيحي في روما يهمهم ما يحدث في هذه المنطقة.

ولَّد كل ذلك الإشكالية التي نشتكي منها اليوم نحن العرب وهي عدم فهم عميق منا لذلك الغرب، وعدم فهم الغرب لنا أيضًا. والأسئلة المنهجية لا تنتهي هنا، فالغرب لديه (مشترك وجوهري) تجاهنا نحن العرب، وفي بعض الأوقات (المسلمين) وبيننا تجاهه

كعرب، وفي بعض الأوقات (المسلمين) أيضًا (مشترك وجوهري) على الأقل من حيث (النمذجة) stereotype للشخصية (العربية) أو (الغربية)، وللثقافة والموقف من شؤون الحياة المعاصرة لدى الطرفين.

ولا يغيب عن الصف العربي المعاصر أن مجموعات عربية تكنُّ إعجابًا مُفرطًا بالغرب، وبكل ما يعنيه هذا الغرب، خصوصًا مؤسساته السياسية والعلمية، ولا يغيب عن الصف الغربي أيضًا ذاك النفر ذوو الإعجاب المفرط بكل ما هو عربي، إسلامي، إلى درجة الرومانسية، وأن نجد بين الطرفين أناساً نذروا أنفسهم مدافعين عن قضايا تخص الآخر، بعضها عاقل ومتوازن، وبعضها خارج عن المعقول، إلى درجة الذوبان في الآخر، إنما حتى هذا المنحى هو شكل من أشكال (النمذجة) بطريقة ما.

وما هدف لقائنا هنا لنتجادل أو نسجل مواقف حول هذه (النمذجة) أو تلك، صحيحة هي أم خاطئة، إنما التقينا هنا لنبدأ حوارًا من أجل أن يفهم أحدنا الآخر بما هو عليه !، أو قريبًا من حقيقته على الأقل. ونقرأ الواقع كما هو، ونصحح رؤية بعضنا عن بعضنا الآخر، ونتلمس المساعدة في مواجهة مشكلاتنا الكبرى على قاعدة المصالح، معترفين بما يفرقنا، جاهدين لتجسيره، محبذين ما يجمعنا من أجل إقامة تعاون بناء يحقق مصالح مشتركة وإيجابية.

ولعل الظاهرة العامة التي نراها اليوم أمامنا، وتفرض علينا قراءتها تتمثل في ثلاثة محاور:

١- كثرة الجنود الغربيين في منطقتنا لأسباب كثيرة. وعمق الرفض العربي للمساعدات التي يقدمها الغرب لإسرائيل، لتحويل الصراع الفلسطيني إلى معادلة صفرية ضد العرب، ولصالح إسرائيل، وهو أمر يقدم الوقود لكل أشكال سوء التفاهم (النمذجة السلبية).

٢- كثرة الانتحاريين في منطقتنا، وحجم الكره للآخر الغربي والأمريكي بالذات.

٣- كثرة الحكومات التي تمارس حكمًا غير صالح (إكراهي)في منطقتنا، مع تزايد مبادرات الإصلاح السياسي والثقافي المطلوب منا كعرب القيام بها.

أمام هذه المحاور الثلاثة نجد الكثير منا (نحن العرب) وأيضًا من (الغربيين) في موقع المشدوه لتراكم السلبيات وازديادها، وقلة المحاولات التي تبذل بجد لفهم وجهة النظر الأخرى، والمساعدة على تذليل الصعوبات التي تواجه التعاون وبناء المصالح المشتركة بطرق عقلانية وسلمية بين الطرفين، بل وبمعضلة وضع أولويات لأجندة الاختلاف/الاتفاق وتفاصيلها.

وإذا كان التاريخ مليئًا بشواهد الصراع، فانه لا يخلو أيضًا من شواهد التعاون، إلا أن المرحلة الحالية تشهد صراعًا متجددًا من حيث الكم والكيف، يختلف عما تم في الماضي، إنه صراع يتمحور حول شكوك غير مؤكدة، وأماني غير متفق عليها، إنه باختصار صراع بسبب عدم الفهم أكثر منه بسبب تضارب المصالح، إن (عنف اللحظة) التاريخية هو الذي يأخذ بخناق الجميع.

العقل العربي - صور قديمة:

منقطع في التاريخ، النموذج السلبي للعرب والمسلمين في التراث الغربي القادم من القرون الوسطى، وهو كثير، يذكر لنا (ديفيد بلانكس)، أنه في أواخر القرن السادس عشر الميلادي، ألقت محاكم التفتيش القبض على طحان من منطقة جبلية شمال غرب البندقية، حُرق على الخازوق، وكانت التهمة الموجهة للطحان أنه قرأ كتاب رحلات السير (جون مانديفل)، **John Mandeville** الذي زعم أنه قام برحلات إلى الشرق! إن مجرد النظر خلف الأسوار (للشرق البعيد) هو هرطقة يستحق فاعلها أن يعدم بأبشع الطرق.

وكان الأوروبيون في حينها يعيشون في جو مليء بسوء الفهم والكراهية للآخر، وكان كثير منهم يدينون أصحاب العقائد المختلفة على ما يعتقدونه، على اعتبار أن الاختلاف أمر سيئ، وأن كل إنسان لا يفكر ولا يعمل ولا يلبس، كما يفكرون ويعملون ويلبسون، فهو زنديق أو بلا أخلاق أو الاثنين معًا. كان العرب والأتراك يصورون في معظم الكتابات الأوروبية على أنهم شخصيات مضحكة وشريرة في وقت واحد.

إدوارد سعيد يضيف إلى ذلك بقوله «التحامل على الإسلام بدأ في نفس وقت ظهور الإسلام، وقتها كان الإسلام تهديدًا اقتصاديًا وسياسيًا لأوروبا، وليس مصادفة أن يضع دانتي النبي محمد (صلّى الله عليه وسلم) في آخر حلقة من حلقات جهنم مع الشيطان في الكوميديا الإلهية، وفي عصر النهضة لدينا شخصية شارلوك (اليهودي) ولكن أيضًا لدينا شخصية عطيل (العربي)»[٧]

تلك الخلفية الثقافية ربما تكون السبب في أن البعض يبحثون الآن، وبعد قرون، عن ما هو مختلف عند هذا الآخر ويعظمونه في نوع من التعويض عن تلك الصور السلبية العتيقة.

ربما هي التي جعلت من البعض بعد قرون يبحثون عن المختلف ويعظمونه، كما فعل المؤلف رافائيل بتاي (**Raphael Patio**) الذي نشر كتابًا في بداية سبعينيات القرن الماضي، وذاع صيته وكان بعنوان(العقل العربي) **The Arab Mind** والذي صدر في أكثر من طبعة، وحتى قبل هذا الكتاب، كان موضوع (العقل العربي) موضع تساؤل، ولقد تمت إعادة قراءة الكتاب ذاك والعودة إلى مقولاته، بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ التي ضربت الولايات المتحدة، بشكل واسع، لتأكيد بعض ما ذهب إليه في أن العقل العربي يتصرف بشكل غير منطقي ومختلف عن العقل الغربي السوي، وخاصة في التعامل مع الجنس، والخوف من السلطة (الباطشة)، واستمراء الكذب. يذهب (جون لافين)[٨] **John Laffin** في كتابه بنفس الاسم إلى ما ذهب إليه (رافائيل)، إلى آخر تلك

المقولات التي يرى البعض أن بعض قطاعات متخذي القرار الأمريكي في السنوات الأخيرة قد اعتمدوا على ما جاء في الكتابين في النظر للعرب والتعامل على أساسه .!

قبل (رافـائيـل بتـاي) و(جون لافــين) لدينا الكثير من الشواهد مما كتبه الغربيون عـن العـرب، وكثـير منـه يثيـر التساؤل حـول رأي هؤلاء السلبي جدًا في أيوب في كثير من الأوقـات، والإيجـابي جـدًا فـي بعض الأوقــات. وأن مــا يمكن مــلاحظتــه أن الموقف الفكري (متناقض) في رؤيتهم للعربي، الأمر الذي يؤدي إلى استدعاء الاختلاف بسرعة عند الضرورة.

لقد خلف لنا تراث الاستعمار البريطاني الطويل سلسلة من الكتابات التي ضمت قراءات عديدة للعرب كتبها رجال الإمبراطورية البريطانية، تلك الكتب حملت الصورة القديمة للعربي، وخاصـة تلك التي تتحـدث عن (العربي، البدوي)، و في كتاب عن حياة وأعمال غلوب باشا (أبو حنيك) العديد من الإشارات للفهم الأوروبي للشخصية العربية، وأبو حنيك (غلوب) (البـريطاني) أمـضـى بين العـرب ردحًـا طويلاً من الزمن، فـهـو ليس بالملاحظ من بعيد، بل المعايش المباشر لفترة طويلة من الزمن.

كتب أبو حنيك في عـام ١٩٤٥: «وهُم قـوم يدركـون بألـم مدى تخلفـهم وضـعـفـهم، وتظهر عليهم جميعًا النزاعات الباطنية، وصفات عدم الاستقرار، التي تظهر على المراهقين، كما أنهم يتميزون بحساسيتهم، واستعدادهم للهجوم لدى أي تنازل يقدمه كبارهم، وتتفجر فيهم نوبات من الغضب والتحدي العنيف، إذا ما عاملتهم بازدراء، ومثلهم مثل الأطفال يمكن أن يصبحوا أحيانا قساة، وأحيانًا يغرقون في اليأس والاستخفاف بالذات»[٩]، ثم يكتب: «من الخطأ الظن أن العرب أقل ذكاء منّا أو أنهم ليسوا قادرين على القيام بشؤون الإدارة أو قيادة الجيش... ربما يكونون أسرع منا بديهة وذكاء... أما لماذا لا يستطيعون إدارة الأمـور بكفـاءة، فـذلك عـائد إلى قلة إحسـاسـهم بالواجب و بالخـدمـة العـامـة، فـهم ينزلقـون بسـهـولة في نزوات مـحـاباة الأقارب والخـدع والمحسـوبية، وهم يدركـون ذلك ولا يعترفون به»[١٠].

في عام ١٩٢٦ كتب ستيوارت بيرمن، وكان يعمل أستاذًا في كلية التدريب العربية في القدس: «السكان هنا ليسوا عربًا، بل مشرقيون يتكلمون العربية، ومنهم من يتكلم اليونانية أو التركية، أو العربية، وهم أكثر ميلاً للغرب منهم إلى الشرق، وتعلمهم الإنجليزية لا يعني تحطيم قوميتهم لأنهم وبشكل رئيسي لا يملكون أدنى فكرة عما تعنيه قوميتهم، ويوجد ثلاث خصائص لدى سكان المدن الفلسطينية، ولدى موظفي الحكومة (حكومة الانتداب): الكراهية للأجانب وخاصة الغربيين، الفساد والاستعداد لنيل الرشوة، التآمر على بعضهم البعض».

الجزء الأول من رؤية (ستيوارت) التي كانت في الثلث الأول من القرن العشرين، نراها تتكرر لدى كاتب عربي في بداية القرن الحادي والعشرين فكتب يقول:

«لا يجد العربي نفسه في الشرق ولا يجد نفسه كليًا في الإسلام، وهو على الأقل لا يُصدق أن هناك عالمين على الأرض، وأن الشرق يتوازن حقًّا مع الغرب. لا يُصدق المثقف العربي أن هناك عالمين، ولا يعرف لنفسه عالـمًا. لقد فقد عالمه من اللحظة التي بدأ فيها الغزو الغربي العسكري والاقتصادي والثقافي، أو هو منذ تلك اللحظة اكتشف أنه لا يملك عالـمًا»[١١] لعل هذا الموقف الأخير يبين الحيرة العربية في معرفة «من نحن» إلى جانب الشكوك لدى بعض الغرب في من هؤلاء؟ إلا أن الملاحظات الغربية، خاصة القديمة لا تتوقف، عند الشكوك في من هم العرب، بل وتميل إلى التقسيم الحاد بين العرب أنفسهم، بين المصريين، وأهل الشام، وأهل المغرب، وأخيرًا أهل الخليج، فيكتب غلوب باشا قائلاً في المصريين:

«الميزة الحقيقية لدى المصري هي التبجح و التباهي، فهو يسعى بنهم إلى أن يبدو مهمًا وحائزًا على الاستحسان، وبشكل عام هو غير فعال في العمل، كلامه الكبير لا ينتج عنه شيئًا، أما العسكرية المصرية فهي قادرة على الصبر والتحمل، ومع ذلك لا يجب الإنقاص من قدرة المصريين على التحدث (الحديث) فهو سلاح رائع في أيديهم»[١٢]

لا بد من الإشـارة إلى التـقريظ الذي حـصل عليـه العـربي في بعض كـتابات الغـرب المتقدمـة، يقـول أحد الرحـالة الإنجليز عـام ١٨٢٦ عن إمام مسـقط وقت ذاك: «إنه الآسيوي الوحيد الذي رأيته، والذي أوحى لـي بأفكار يقـوم عليـها معنى السـيد الإنجليزي النبيل». العربي وعقله وتصرفاته، في الصورة الغربية القديمة، التي انطوت على مفردات سلبية مثل منازع باطني، مراهق، أطفال، سريعي الغضب، كُسـالى ذلك من بين صفـات أخرى سلبية. وفي نفس الصـورة القديمة نرى أن البعض يتحدث عن العرب، أنهم شجعـان، كرمـاء، بل في بعض الكتابات نبلاء، حساسون، قادرون على العمل ومحاربون أشداء.

أمـا لورنس العـرب صـاحب كتـاب الأعـمدة السـبعة، فـهو يتـحدث عن العـرب بقـوله: «إنهم مـتـحـركـون كـالماء، ومـثل الماء في النـهـاية ربما يتـسـرب ويفـوز، منذ بزوغ الحـيـاة وبموجات متعاقبة، كانوا مندفعين ضد الأجسـاد الإنسانية، وكل موجة تتكسر على أخرى، ولكنـهم كـالبـحـر، يـأكلون على مـر الزمـن حتـى المكان الجـرانيـتي الصلد، وفي يوم مـا في العصـور القـادمـة، ربما يسـودون دون انتـبـاه على مـا يعـرف اليـوم بالعـالـم المادي، إن الله سـوف يظهر على وجـه هذه المياه، واحدة من هذه الموجات قد سـادت سـابقًا بسبب نسـمـة الفكرة، حتى بلغت القمـة، ثم تداعت للسـقوط، وعندمـا يبلغ الزمن رشـده فـإن البـحـر سـوف يرتفع مرة أخرى»(١٣).

هذا التناقض في تصـور العـربي، وهل هـو عربـي (واحـد) أم أن هـناك (مـجـمـوعـات مـختلفـة نسـبيًا أو كليًا من العرب) كان سـببهـا إمـا الجـهل، أو أسـبـاب سياسـيـة، أو ربما رغبات خاصة، إلا أنها بـالتأكيد بعيدة نسبيًا عن القراءة المعمقة للجنس والشـعب العربي، الذي هو لا يشكل (مـلائكة) ولكن بالطبع لا يشتمل فقط على (شـيـاطين)، كمـا أن العـرب لا يشكلـون (دولة) واحـدة بالمعنى الحـديث للدولة، وإن كـانوا يشكلون ثقـافـة، تلك في الغـالب قراءة ثنائية، قد يكون لها أغراض غير العلم الذي تتصف نتائجه بالثبات النسبي والقرب من الموضوعية.

بعد مجموعة من الأحداث، على رأسها أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ أصبح للعربي في الغرب، صورة ونموذج وشكل آخر، أكثر عمقًا في الدرجة، إنما لا يختلف في النوع، وهو القادم والمتصل بين الصورة القروسطية للإسلام والمسلمين والمتشابك مع ما تبثه وسائل الإعلام الحديثة والسريعة اليوم.

إن المتابع يرى أن الرأي العام الغربي اتَّخذ مواقف (متناقضة) تجاه الحروب الحديثة الدائرة في المنطقة العربية، ففي الوقت الذي أيدت فيه الكثرة الغربية إسرائيل في حروبها المختلفة ضد العرب منذ حرب ١٩٤٨ إلى حرب ١٩٧٣، وقفت هذه الكثرة ضد التدخل العسكري الغربي في حربين طرفاهما عربيان، أو عربي غربي، كما حدث في عام ١٩٩١ وعام ٢٠٠٣ (حرب تحرير الكويت، وحرب تحرير العراق) ووقف دون اهتمام عام وبلا مبالاة في حرب إيران و العراق ١٩٨٠-١٩٨٨ ولعل الموقف من (العربي) يظهر جليًا عند اشتعال حرب/ صغيرة أو كبيرة بين العرب وإسرائيل، لنجد أن أغلبية من الجمهور الغربي تناصر إسرائيل، إلا أن (النمذجة) السلبية التي تظهر في الإعلانات ورسوم الكاريكاتير في الدول الغربية حول العرب، وخاصة خلال الأزمات حيث يظهر العربي شكلاً وموضوعاً جاهلاً ومتخلفًا، يثير الرثاء.

نجد في فرنسا أن ملصقات دعاية انتشرت في محطات القطار السفلي (المترو) للعاصمة باريس لقاموس لاروس المعروف، تظهر عربيًا بثياب رثة جالسًا على الأرض محتضنًا (قاموس لاروس)، كناية عن أنه حتى العرب المتخلفين يقدرون هذا القاموس![١٤].

صورة أخرى تظهر احتقار العربي للمرأة، مثل إعلان (الآيسكريم) حيث يظهر بدوي، يمتطي جملاً، في صحراء تقوده فتاة يغطي وجهها حجاب سميك، وتسير حافية القدمين، وفجأة يخرج البدوي قطعة (الآيسكريم) من إبطه ويلتهمها بشغف. أما الخوف

المرضي من العرب على (العرض) فنراه في صورة كاريكاتيرية أخرى، عبارة عن رجل بدوي آخر، ومعه ثلاث نساء مغطاة أجسامهن بالسواد إلا أعينهن، وخلفهن متفجرات ونار، وهو يقول: الحمد لله لم تمس ثياب زوجاتي!

سبعة من كل عشرة من الفرنسيين مثلاً، يعتمدون في معلوماتهم على التلفزيون، وبرامج التلفزيون في الغرب لا تتأخر في اتباع سيرة وسائل الإعلام المطبوعة، في عام ١٩٩١ إبان حرب تحرير الكويت، صرح الرئيس اللبناني تصريحًا لم يكن مقبولاً، فأشار إليه مقدم الأخبار في القناة الثانية، بأنه (إلياس هراوي)، رئيس لبنان المسلم![١٥]. ولعل الأكثر إثارة ما كتبته الكاتبة الإيطالية (أورنيلا فلاتشي)، التي لم تتورع في استخدام لغة السباب الفاضح ضد العرب، في كتابها الذي ذاع صيته وكان بعنوان (الكلب والكبرياء)، كما أعادت مؤخرًا سابق سبابها في كتاب آخر هو (قوة الحكمة) التي ادّعت فيه أن البابا وتوني بلير والفرنسيين الجبناء والألمان الانتهازيين والمعارضة اليسارية الإيطالية تريد (بيع أوروبا للإسلام). وقد خلط ذاك الكتاب كسابقه، في المفاهيم وأوغل في الاختزال والتبسيط وعمم نموذج الأصولية المتطرفة على الإسلام والمسلمين كافة، وجنح لإثارة المخاوف الأمنية وبالذات للمواطنين الأوروبيين، إلى درجة أن سادت في بعض الأوساط المسلمة في أوروبا مقولة (نكاد نخفي إسلامنا)[١٦] بل إن بعض الكتاب الاوروبيين قارنوا، وهو اللافت للنظر، بين ما سموه بالهجمة الإسلامية على الغرب، وبين الإيديولوجية البروتستنتية المتطهرة القادمة من أمريكا، وكلاهما يهددان أوروبا على أساس أنهما يسعيان لتقويضها[١٧]! ولنشر الفوضى فيها بسبب تعصبهما!!.

فروق الثقافات (الحضارات):

منذ مقالة (صامويل هنتنجتون) في مجلة السياسة الخارجية (Foreign Affairs) صيف عام ١٩٩٣ (عدد رقم ٧٢) ولم ينقطع الحديث والاستشهاد بها في مجمل العالم العربي. لقد كان أحد الدوافع الرئيسية لتلك النظرية ما حدث في إيران في أعقاب ثورة

السيد (الخميني)، واستيلاء رجال الدين على السلطة، وما تلاه من صراع خاصة باحتجاز الرهائن الأمريكيين في مطلع الثمانينيات من القرن الماضي، وزاد الاستشهاد بتلك الأفكار بالطبع بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ في الولايات المتحدة.

ماذا يقول (صامويل هنتنجتون)؟ لقد تأثر هنتنجتون في بداية التسعينيات من القرن الماضي بالسقوط غير المتوقع (بالتوقيت والسرعة) لإمبراطورية (الشر) الاتحاد السوفيتي، ومن ذلك المنطلق وخلافًا لما ذهب إليه فاكو ياما من نهاية التاريخ، حيث أكد بما لا يرقى إلى الشك انتصار الديمقراطية، توقع هنتنجتون، بعد أن استعرض أشكال ودورات التغيير الصراعي في التاريخ (وخاصة الأوروبي) أن (الصراع) على المستوى العالمي لم ينته بعد. وأن الصراع القادم بين أمم العالم وشعوبه، والذي سيحتل مركز المسرح في الصراعات المتوقعة والقادمة في العالم، هو الصراع الثقافي، فهو ليس اقتصاديًا ولا إيديولوجيًا كما كان في السابق.

صراع الحضارات (الثقافات) سيكون الشغل الشاغل بين القوى المختلفة، وسيندلع في مواقع الاحتكاك والتصدع بين الدوائر الحضارية القائمة، وسيكون ذاك الصراع آخر حلقة في سلسلة الصراعات الإنسانية.

انتقد (هنتنجتون) كثيرًا، ورد على منتقديه، ولكن علينا أن نتذكر أن الفكرة راجت بسبب انتهاء الحرب الباردة، وتصور صعود الصين والخوف منها، وجاءت الإشارة إلى (الإسلام) أو الحضارة الإسلامية ليس بشكل مركزي، ولكن بشكل سطحي في أطروحة هنتنجتون الشهيرة. إلا أن التعليقات العربية والإسلامية لاحقًا ضخمت من تلك الآراء الخاصة بالإسلام.

قبل (هنتنجتون) أدلى المؤرخ البريطاني، الأمريكي، (برنارد لويس) بدلوه في مسألة الصدام الحتمي بين الاسلام والغرب مفسرًا ذلك بأسباب سياسية وحضارية

وديموغرافية، ففي مقالته الشهيرة «جذور الغضب الإسلامي» (اعتبر لويس المسلمين كيانًا واحداً موحداً أمكنه في إطاره تحديد علاقتهم بالغرب بلغة السخط والعنف والحقد واللاعقلانية!).

وكان البروفسور الاميركي (أرون ويلدافسكي) قد أرسى – قبل (لويس وهنتنجتون) – قواعد نظرية ثقافية تفسر لقاء الأضداد ضد الغرب . فبحسب نظريته، ثمة ثلاثة أصناف من الحضارة : الفردانية **Individualistic** والهرمية **Hierarchic** والمساواتية، **Egalitarian** في الحضارة الفردانية يكون المجتمع بخير، عندما يدير الأفراد شؤونهم بأنفسهم، والقرارات تأتي نتيجة عرض ومساومة على نحوٍ تكون الحاجة فيه الى سلطة مركزية محدودة، كما هي الحال غالبًا في المجتمع الأميركي .

في الحضارة الهرمية يكون المجتمع بخير، عندما يحتل كل فرد محله المقرر، على أن تقوم فئات معينة بالتضحية من أجل خير الكل، كما هو الحال في المجتمع الإسلامي الأصولي «حيث تستقيم الأمور عندما تصبح الشريعة الإسلامية هي القانون الأوحد الذي بموجبه يحكم المؤمنون الكفار، ويحكم الرجالُ النساء، ويحكم اللهُ الرجال».

في الحضارة المساواتية يكون المجتمع بخير عندما تكون مرتبة كل شخص مساوية للآخرين، كما في الدعوة الماركسية قبل انهيار الاتحاد السوفيتي.

يدعي (ويلدافسكي) أن تهافت الماركسية حمل فلول يساريي ما بعد الحداثة المشتعلين بالحماسة المساواتية والرافضين فساد الرأسمالية والمادية، على التلاحم مع الأصوليين لتدمير المجتمعات الغربية[١٨] وشواهده أن الكثير من الماركسيين العرب القدماء أصبحوا (إسلاميين) جددًا، في الثمانينيات وما بعدها[١٩].

النقد ومعارضته:

ما لفت الأنظار إلى مثل هذه النظريات مجددًا، هو ما حدث في الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١، ولو أن الشروط العديدة التي وضعها (هنتنجتون) وغيره في أطروحاتهم

لصراع الحضارات لا تنطبق كليًا على الطرف (الإسلامي) بتفاصيلها، إلا أن الفكر العام الغربي والعربي قد أخذ الفكرة وأشاعها، ربما حتى خارج إطارها الذي أريد لها أصلاً.

ولقد جادت قريحة كثير من العرب والمسلمين للوقوف ضد ما اعتقدوه (هجمة) على الإسلام والمسلمين، فيما بعد الحادي عشر من سبتمبر ٢٠٠١ وما بعد أحداث حربي أفغانستان والعراق، بتوجه مضاد، له نفس القوة لكن بالطريقة المعاكسة، فكتب أحد المواقع الالكترونية رابطًا ما يحدث من حروب بهجوم على الإسلام فقال:[٢٠]

« في واقع الأمر يمثل موقف الرئيس (بوش) في اعتذاره للمؤسسات الإسلامية إشارة عابرة، في معرض اعتذاره خلال زيارته إلى إحدى المؤسسات الإسلامية في العاصمة (واشنطن) و هي تمثل انعكاسًا لطبيعة التناقض في المواقف بين المثقف الغربي والمثقف المسلم المتغرب، إزاء التاريخ. ففي الوقت الذي يكرس الأول طبيعة التفاعل والتلاصق مع النصوص الدينية والتاريخية معتبرًا المفاهيم المنطوية عليها هي الأرضية المؤهلة للانطلاق من الماضي إلى الحاضر ومن خلالها إلى المستقبل، نجد أن الثاني يصر بدافع من سوء النية أو حسنها على تجاوز العديد من العناوين الأساسية بما في ذلك الدين والتاريخ داعيًا إلى استبدال الجدية في إقامة العلاقة معها بصيغ هشة تتيح الفرصة للقفز على سلسلة الضوابط والحقائق والالتقاء مع الغرب بغض النظر عن الشروط المكلفة التي يضعها الأخير لتحقيق مثل ذلك الالتقاء».[٢١]

مثل هذا الموقف، وهو ربط بين ما يحدث على ساحة الصراع بعد أحداث ١١ سبتمبر ٢٠٠١ في الولايات المتحدة، وبين الإرهاب الدولي الذي فسره البعض على أنه صراع (ضد الإسلام والمسلمين والعرب) هو الأكثر بروزًا وقبولاً لدى فئات عربية وإسلامية واسعة.

كثير من هذه الفئات العربية والمسلمة، تنظر إلى معارضة سياسات الولايات المتحدة الخارجية على أنها ردة فعل طبيعية، لسياساتها تجاه الفلسطينيين الذين يقتلون وتُهدم بيوتهم وتستباح أراضيهم بدعم (كما يؤمن العرب) من الدولة الكبرى، كما يحملون الغرب الذي ساهمت دوله في وقت ما، مثل بريطانيا أثناء وبُعيد الانتداب على فلسطين، وفرنسا إبان الحكم القومي وهجوم السويس ١٩٥٦ (قبل فترة شارل ديجول) وإلى حد ما بلاد مثل ألمانيا التي دفعت أموالاً طائلة (كتعويض) استخدم هذه المواقف لتأكيد قوة الدولة الجديدة (إسرائيل). إن هذه السياسات المنحازة تدفع العربي إلى مقاومتها والوقوف أمام مصالحها.

إلا أن هذا الرأي يقابل من بعض الدارسين والمعلقين الغربيين بالقول إن هناك العديد من الدول في العالم التي تناهض السياسات الخارجية الأمريكية لعدد من الأسباب، ولكن القليل منها يفرز(أسامة بن لادن) كردة فعل، وتضيف هذه النظرية أن الأسباب التي تجعل من ظاهرة بن لادن عربية، هي أسباب أخرى، ودون التقليل من السبب الفلسطيني، كما يجادل هذا البعض بأنها أسباب اقتصادية وركود سياسي والأهم تجمد ثقافي، ينظر إلى الماضي أكثر مما ينظر إلى المستقبل.

ومن الشرق أيضًا، فقد جاء ياباني بقلم عربي فصيح، ليقول عكس ما يظن البعض، أن لأهل الشرق رأيًا في العرب يخالف أهل الغرب، هذا ما سرده (نوبواكي نوتوهارا) في كتابه، وشهادة (نوبواكي) الياباني الذي قضى قرابة أربعين عامًا وهو يعيش مع العرب، ويلاحظ الثقافة العربية في البوادي والمدن العربية من الداخل، وقد أجاد العربية كأحد أبنائها، واطّلع على الإنتاج الأدبي العربي وترجم منه إلى اليابانية، وهي أول شهادة يابانية – حسب علمي – تكتب عن العرب بلغتهم.

يلاحظ الكاتب من بعض ما يلاحظ، هذا التوتر غير الخفي في المدن العربية المكتظة بالسكان، وهو توتر في الشارع العربي يعتقد الكاتب أنه ناتج عن اضطهاد، فالناس

يمشون في الشوارع وكأنّ عينًا تطاردهم ووجوههم جامدة وصامتة في طوابير طويلة. حتى في التاكسي يواجه الإنسان الاضطهاد، فالسائق يختار الراكب حسب المكان الذي يريد الذهاب إليه، ويرفض أن ينقل الشخص الذي لا يعجبه شكله، أو المكان الذي يقصده. وينتهي الكاتب بالملاحظة أن «الناس في المدن العربية ليسوا سعداء وليسوا مرتاحين، الناس صامتون لا يتحدثون، ولكننا نسمع صرخة من خلال ذلك الصمت الخانق»!.

يكتشف الناقد الياباني أن هذا الجو من التوتر هو بسبب غياب العدالة الاجتماعية، ويضيف أن من حقه بعد كل هذه السنوات التي قضاها مع العرب أن يقول شيئًا لهم.

غياب العدالة يعني غياب المبدأ الأساسي الذي يعتمد عليه الناس في علاقتهم ببعضهم، لذلك «يبرر الناس في البلاد العربية أن كل شيء ممكن لأن القوانين السائدة غير مطبقة وغير محترمة»، القانون لا يحمي الناس من الظلم لأنه مخترق، ويأتي (نوتوهارا) على الكثير من الأحداث والوقائع. فالقمع «الشيء الوحيد الذي لا يحتاج إلى برهان في البلاد العربية» والذي يستغرب له الياباني المعاصر أن (الحاكم) يحكم مدى الحياة في الوقت الذي لا يتجاوز عمر رئيس الوزراء الياباني في الوظيفة بضع سنين، وأن الصحف تمنع من بلد إلى بلد، وأن الكتب والمجلات تعرض على الرقابة، مثل هذه المظاهر لا يتوقع الياباني أن يراها في حياته المعاصرة في بلده، ثم يستطرد بالقول: «إن من زار اليابان لا شك يعرف أن هناك سيارات بمكبرات صوت على نواصي الشوارع تهاجم رئيس الوزراء والحزب الحاكم دون أن يتعرض لها أحد»، ولكن السلطة والشخص في البلاد العربية شيء واحد وفي معظم البلاد العربية يقول الكاتب: «إن المعيار الوحيد لكرامة المواطن ووطنيته هو مقدار ولائه للحاكم» وهذا كله غريب علينا نحن اليابانيين في الوقت الحاضر.

في تاريخ اليابان الحديث فإن السيد (تاناكا) واحد من أقوى الشخصيات التي شغلت منصب رئيس وزراء، اعتقلته الشرطة، اعتقلته من بيته وذهب إلى السجن بالقبقاب الياباني بعد أن اكتشفت الصحافة قضية (لوكهيد) المتورط فيها. يعترف الكاتب أن اليابان في وقت ما كانت خاضعة لنوع من القمع، ولكنهم تخلصوا منه وأصبح تاريخًا، يقول

«أعتقد أن القمع هو داء عضال في المجتمع العربي لذا فإن أي كاتب أو باحث يتحدث عن المجتمع العربي دون وعي هذه الحقيقة البسيطة الواضحة فإني لا أعتبر حديثه مفيدًا وجديّاً. نتيجة القمع يحاول الناس أن يوحدوا آراءهم وملابسهم وبيوتهم، وتحت هذه الظروف تذوب استقلالية الفرد، ويغيب أيضًا الوعي بالمسؤولية العامة. فالقمع يولد الخوف وينتج الاحترام الكاذب.

بسبب غياب العدالة، تغيب المسؤولية العامة، فالحدائق والشوارع ومناهل المياه ووسائل النقل العامة يدمرها الناس اعتقادًا منهم أنهم يدمرون ممتلكات الحكومة لا ممتلكاتهم. وكذلك تغيب المسؤولية تجاه أفراد المجتمع، فالسجناء السياسيون ضحوا من أجل المجتمع، و لكن المجتمع نفسه يضحي بأولئك الرجال الشجعان. الناس في البلاد العربية تتعامل مع قضية السجين السياسي على أنها قضية فردية على أسرة السجين أن تواجه أعباءها! يتساءل الياباني باستغراب (أفهم أن تضحي السلطة (العربية) بأفراد متميزين ومفكرين وأدباء وسياسيين وعلماء وفنانين، ولكن لماذا يضحي الشعب نفسه بأولئك الأفراد)!.

العربي – يقول الكاتب – يتناول أفكاره من (خارجه)، في الوقت الذي فيه الياباني يستنتج أفكاره من الوقائع الملموسة التي يحياها كل يوم «في اليابان تضاف حقائق جديدة كلّ يوم، بينما العربي يكتفي باستعادة الحقائق التي اكتشفها في الماضي البعيد»، الأفكار الجاهزة تخرب فهمنا للواقع.

يقارن الكاتب بين اليابان والعرب فيقول: «واجه اليابانيون تجربة صعبة ومريرة، فلقد سيطر العسكريون على الامبراطور والسلطة والشعب وقادوا البلاد إلى حروب.. ولكننا وعينا خطأنا وقررنا أن نصححه، فأبعدنا العسكر، وقررنا أن نبني ما دمره القمع العسكري..».

لقد تعلمنا أن «القمع يؤدي إلى تدمير الثروة الوطنية، وقتل الأبرياء ويؤدي إلى انحراف السلطة والدخول في ممارسات خاطئة» ثم يضيف، أن «النقد الذاتي له قيمة كبرى في حياة الشعوب، والشعوب بحاجة إلى نقد من الداخل ومن الخارج».

يقول الكاتب كثيرًا ما يواجه بسؤال من أصدقائه العرب، لقد دمرتكم الولايات المتحدة بإلقاء قنبلتين نوويتين على مدنكم، فلماذا لا تكرهون أمريكا؟ يجيب: إنّ علينا أن نعترف بأخطائنا، لقد استعمرنا شعوبًا ودمرنا بلادًا كبيرة، في الصين وكوريا وأوكيناوا، علينا أن ننقد أنفسنا ثم نصحح أخطاءنا ونزيل الانحراف «أما المشاعر فإنها مسألة شخصية محدودة لا تصنع مستقبلاً»، يصر (نوتوهارا) أن الوعي بالمشاكل هو المدخل الصحيح لإصلاحها، لذا يعطف على نظام القيم لدى العربي، ويضرب أمثلة كثيرة على خللها من وجهة نظر اليابانيين.

فالياباني لا يتوقع أن يذهب إلى البنك ليصرف مبلغًا من المال، ثم يعطيه الصراف أقل مما يستحق ! أو أن يذهب إلى متحف فيعرض عليه مسؤول المتحف بيعه بعض القطع الأثرية، يصف (نوتوهارا) الكثير من مثل هذه القصص في كتابه، وقد شاهد مرة باستغراب راهبة (عربية) بثيابها الدينية تدفع رشوة! حيث لا يمكن أن تنهي معاملتها لدى تلك الدائرة بدونها، فنظام القيم العربي، يرى فيه الكاتب خللاً كبيرًا لا تستقيم معه التنمية المنشودة.

تضاف هنا شهادة من الشرق (الياباني) إلى شهادات من الغرب عن حال العرب وخروجهم عن المتوقع في الحياة العصرية، ليتأكد افتراضنا أن الغرب، هو غرب حضاري أكثر مما هو جغرافي.

النقد من الداخل - (العرب ينقدون أنفسهم ويعترفون بالقصور):

النخب العربية لم يفتها توجيه مثل هذا النقد، ولقد نعته البعض بالتخلف السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي، ولعل أبرز دليل هو تقرير التنمية الإنسانية الصادر من الأمم المتحدة لعام ٢٠٠٢-٢٠٠٣ وهو مجموعة من الدراسات قام بها أكاديميون عرب فتحت الباب مشرعًا للكثير من النقد الحازم والواضح للأوضاع العربية. وهي وإن كانت قد وضعت في مؤلف شامل، إلا أن مثل هذه الدراسات لم تكن غائبة عن المهتمين العرب الذين عالجوا بعض هذه المشكلات بتوسع، سواء الفكرية منها أو السياسية أو الثقافية في أوقات سابقة.

من أوائل المفكرين العرب في القرن العشرين رجال أمثال (رفاعة الطهطاوي، وطه حسين، وعلي عبد الرازق وقبلهم خير الدين التونسي)، ويمكن التوقف أمام أعمال (مالك بن نبي) المفكر الجزائري الذي اقتحم النقد الموضوعي للفكر العربي المعاش في القرن العشرين وشرح الكثير من معوقاته. وهو مفكر إسلامي عربي بارز، من مواليد (قسنطينة) بالجزائر ١٩٠٥- ١٩٧٣، درس القضاء بالمعهد الإسلامي المختلط فيها، نال شهادة الهندسة الكهربائية من باريس، وفيها أصدر عدداً من كتبه الهامة، التي ناقش فيها أبرز مشكلات العالم العربي وسبل نهضته. لجأ إلى القاهرة عام ١٩٥٦ وأصدر بعض كتبه بالفرنسية، ثم عاد إلى الجزائر بعد الاستقلال، مديراً عاماً للتعليم العالي ثم تفرغ للعمل الفكري الذي أنتج فيه سبعة عشر كتابًا في سلسلة سماها (مشكلات الحضارة)، وعددًا آخر من الكتب منها أربعة ذات أهمية وهي (ابن باديس حياته وآثاره) وهو كتاب يدور حول حياة المفكر الجزائري ابن باديس، وكتاب (مشكلات الأفكار في العالم العربي والإسلامي)، و(الظاهرة القرآنية)، و(مشكلات الثقافة).

وهي كتب اشتملت على مجمل أفكار (مالك بن نبي) النقدية والفكرية، ولقد جاء تعليمه في فرنسا تعليمًا عمليًا وعلميًا تعرف من خلاله على المنهج العلمي في التفكير. كما جاءت تنشئته الأولى في الجزائر لتقدم له تراثًا عربيًا إسلاميًا عميقًا. أما حياته في القاهرة فلقد أطلعته على قضايا الشرق العربي، في وقت كانت الجزائر تناضل من أجل

نيل استقلالها. وأتاحت له تلك الفترة الاطلاع على الفكر الشرقي، خاصة فكر (محمد إقبال) الذي أخذ منه (مالك بن نبي) منهجه في فهم الوسطية الإسلامية.

لقد قال (بن نبي) بقابلية الشعوب للاستعمار بسبب تخلفها العلمي والثقافي. فهو يرى أن فكرة قابلية الشعوب للاستعمار أو الاستعباد لا تخص شعبًا أو عرقًا بعينه، كتب عليه الشقاء إلى يوم الدين. فتاريخ البشرية لا سيما التاريخ الإسلامي وغيره من تاريخ شعوب الأرض، يظهر أن الشعوب تمر بمرحلة العزة والتمكين والرفاهية، ثم تخلفها أجيال أخرى تعيش تحت الذل والمهانة، وتذوق مرارة الاستعباد ثم تأتي بعدها أجيال تعيد للأمة عزتها وكرامتها فتحررها من الاستعباد والاستبداد. وهي فكرة دائرية حركة التاريخ، التي قال بها المفكر البريطاني (أرنولد توينبي) قبل ذلك. ولكن (مالك بن نبي) حور الفكرة ليقول إن بعض الشعوب في بعض تاريخها تكون قابلة للاستعمار، وهي في حالة من الضعف وعدم الوعي. وهذه الأفكار هي التي تتسق مع القول أن الثورات العلمية تأتي في ذيولها حركة استعمارية من نوع ما. وبيت القصيد هنا، إن صح التعبير، هو أن الشعوب ذات القابلية للاستعمار، هي تلك التي تتعطل أو تتأخر عن الفكر والبحث العلمي واعتماد النقد لما هو قائم، فتتخلف وتزداد ضعفًا وتصبح طيعة بأن تستعمر.

ما قاله (مالك بن نبي) كرر في الكثير من الكتابات العربية النقدية اللاحقة، فقد كتب (نصر حامد أبوزيد) أن تردد بعض العرب في قبول النقد التاريخي للتراث يرتبط بغياب قيمة ممارسة النقد من أفق الحياة العامة بوصفة شرطًا أوليًا للمعرفة الحقيقية، أي المعرفة التي تنبثق من معطيات المعلوم إلى آفاق المجهول. وغياب النقد كقيمة إيجابية يمكن أن يفسر هذا التوجس من الديمقراطية باسم الإسلام، ويجعل من الصعب على المواطن، في الغرب، تصور إمكانية التعايش بين الإسلام والديمقراطية[٢٢].

أما الدكتور (نبيل علي) فيسرد وجهة نظره في الفكر العربي المعاصر بقوله: «في رأيي أن فكرنا العربي قد غلب عليه في معظم مراحله وإنجازاته وانحيازاته النزوع إلى

الموجب والقاطع والمحدد والمحكم، وهو لهذا يفزع من مواجهة الزائغ والمحتمل والمتداخل والمتشابه، ينحاز إلى الثابت على حساب المتغير، والسائد على حساب المتجدد، يلح على الإجماع وينفر من الاختلاف والتعدد والغموض حتى كاد أن يحرم معجمه رفاهية المجاز ومجامعه من حقوق السك والنحت، ونصوصه من حرية التأويل».[٢٣]

وتسير قافلة النقد للتعمق لدى العرب باتجاه أنهم (الغربيين) يفهموننا أكثر مما نفهمهم. ويرد هذا البعض أن هناك الكثير من التراث العربي المكتوب لولا انشغال العلماء الغربيين به لما استطعنا أن نتعرف عليه، فقد فهم (أرنولد توينبي) ابن خلدون بشكل معمق. ومما لفت نظري بشكل خاص إلى هذه الحقيقة ما يقرره واحد من أهم الباحثين الإسلاميين المدققين في النصف الثاني من القرن العشرين، هو الأستاذ الدكتور (حسين مؤنس) صاحب العديد من الأعمال الموسوعية في حقلي التاريخ والجغرافيا، إذ يقول، في مقدمة الطبعة الأولى من مؤلفه الضخم «تاريخ الجغرافيا والجغرافيين في الأندلس»: «لقد وجدنا أن معظم ما نفخر به في هذا المجال إنما هو من كشوف غيرنا، من أمثال (جورج روشكا، وهانز فون مجيك، وجورج سارتون، وكارلو نللينو، وبول كراوس، وألدو ميلي، وهاينريش سوتر، وماكس مايرهوف، وكونراد ميللر، وخوان بيرنيت)، وغيرهم كثيرين جدًا، ممن أنفقوا – وينفقون – العمر في دراسة المخطوطات العربية في العلوم، وحل رموزها وإثبات فضل العرب وأهل الإسلام على هذا العلم أو ذاك بالحجة والبرهان الساطع».

ويذهب كاتب آخر للقول «بأن الغرب الذي نشتبك معه ونكرهه هو الغرب السياسي...إننا نحترم الغرب ونقدر التقدم الكبير الذي حققه على شتى الأصعدة، إلا أننا نرفض أن نكون نسخة منه»[٢٤]

نظرية المؤامرة

قائمة كتابات المدرسة الفكرية (لابن نبي)، و(نصر حامد أبوزيد)، وغيرهم من المفكرين العرب والمسلمين المحدثين أو المعاصرين التي تتفهم المعضلات الفكرية التي

تواجه العربي اليوم، وتحاول جاهدة الإجابة على بعض الأسئلة الصعبة، هذه المدرسة ليست صغيرة أو محدودة، ولكنها في نفس الوقت ليست شعبية أو عامة أو مؤثرة، وقصورها يبرره البعض من جهة بأن (الهجمة) الغربية قاسية وقوية وشاملة، لا تترك فسحة للتنفس، ومن جهة أخرى فإن حجم التحديات الفكرية المتراكمة تاريخيًا في العقل العربي ضخمة، والتعامل معها شاق لأنها بنيت على مر زمن طويل على الخرافة، ولم يتسع القبول بالفكر النقدي العقلاني لدى النخبة العربية، فما بالك بالعامة، لذا فإن هذه المدرسة نخبوية.

من ضمن تلك الهجمة الغربية غير العقلانية تلك الأفكار التي تنتشر بين الكثيرين في الغرب عن المسلمين، فيكتب مدير تحرير موقع الجهاد (روبرت سبنسر) في الموقع المذكور أن: «أحد العوامل الرئيسة للثقافة الإسلامية الإيمان غير المنازع، أنها (متفوقة) هذه الفكرة مغروسة في القرآن والإسلام، إنهم يعتقدون أن دعوة محمد للأتقياء المسلمين هي الدعوة (الخاتم) والنهائية والتامة للبشرية من الله الحقيقي. إنها تصحح وتبطل الدعوات السابقة، من بينها التوراة والإنجيل، اليهود والمسيحيين الذين بقوا على معتقداتهم بعد الدعوة المحمدية. الذين رفضوا هذه الدعوة الخاتمة مرتدين بسبب خبثهم وفسادهم. في وقت ما من العصور الوسطى فإن تشابك فهم المسلمين لأنفسهم بشكل كامل مع الواقع الذي يعيشه العالم آنذاك، إمبراطورية إسلامية واحدة تنتهك بتصلب وعناد حقوق المسيحيين المنافسين لها من خلال حربهم وهزيمتهم بسبب تفوق المسلمين بالقوة العسكرية والتقنية»[٢٥]

ولقد أشار كثير من الكتاب الغربيين إلى ترسخ ذهنية المؤامرة لدى العربي. وتمت الاستفادة الغربية من الكتابات العربية التي تناولت أحداث الحادي عشر من سبتمبر على أن هذه الأعمال المدمرة تمت بفعل (الموساد) أو أجهزة المخابرات الأمريكية، أو أن من قام بهذه الأفعال ليسوا عربًا، بل أناس على الأكثر (مأجورون) من أحد أجهزة المخابرات الغربية. وثمة كتابات أخرى تدعي كون (صدام حسين) عميلاً أمريكيًا قام بما قام به

تنفيذًا لأوامر من سادته الغربيين، وتزخر المكتبة العربية بمثل هذا التوجهات الفكرية في الكتب والمقالات والمقابلات الصحفية والمتلفزة، ما يجعلها مرجعية وسندًا لمن يريد أن يؤكد نظرية المؤامرة في العقل العربي. فقد روج فكرًا غربيًا لنظرية المؤامرة، التي وجدت صدًى إيجابيًا لدى العرب. ولعل أفضل كتاب بيع في المكتبات العربية في غضون ٢٠٠١-٢٠٠٢ هو كتاب الفرنسي (تييري ميسان) الذي أكد أن بعض أحداث الحادي عشر من سبتمبر لم تقع أصلاً[٢٦] واستقبل هذا التوجه بترحاب كبير على أنه شهادة غربية ببراءة العرب المسلمين من أحداث الحادي عشر من سبتمبر، ودليل قاطع على التجني عليهم!

مثل هذه الكتابات والتصريحات، استفاد منها الكثير من المعلقين الغربيين لبيان سمة العقل العربي الوله كثيرًا بفكرة المؤامرة.

نظرة العربي للغرب - (ماما أمريكا):

شاعت بين العرب، نظرة سلبية للغرب في العصر الحديث، وظهرت كتابات عديدة ترسم بالتفصيل هذه الصورة وتلونها بكتابات غربية للاستشهاد والتأكيد على ما يذهبون إليه. ولم تقتصر هذه الصورة على الكتابة، بل وتزاوجت مع الفن أيضًا. ولعل أشهر مسرحية تم عرضها في (بغداد) أيام (صدام حسين)، وقابلتها وهي منتشية، مسرحية للفنان (محمد صبحي) بعنوان: ماما أمريكا! بل إن نقد الغرب أو إظهار «سلبياته» كان واحدًا من موضوعات الرواية المحببة للروائيين العرب، (الطيب صالح وصنع الله إبراهيم) وغيرهم من الأمثلة البارزة[٢٧].

إلا أن الأكثر جدية من ذلك، أن الكثير من النُخب العربية تجهر بالنقد لموقف الغرب السياسي، وبعضها يشير إلى بعض الممارسات الاجتماعية والأخلاقية المغايرة لما يعرفونه في ثقافتهم على أنه خروج كامل عن ما يقبله الإنسان العاقل وتفسخ يقود إلى تفكك المجتمع.ويشتكي كاتب عربي (وهي شكوى عامة) من عدم فهم العرب للغرب فيقول كاتب

عربي مهاجر: «إننا لا نعرف إلا بعض الكليات والبديهيات عن الآخر الغربي. والإشكال البارز الذي يتبادر إلى الذهن، ونحن نناقش مسألة الحوار بين الثقافة الغربية والثقافة العربية، هو: ما هي الثقافة التي يجب أن نقدمها للآخر الغربي؟، فلحدّ الآن لم نوفّق في صياغة أطروحة ثقافية تكون قادرة على مجابهة تحديات العولمة وإفرازات عصر الإنترنت. وعندما هاجر العقل العربي والإسلامي إلى الغرب فإنه حاور العقل الغربي بمنطق مذهبي وطائفي وإيديولوجي وعشائري ومناطقي وجهوي وإثني. ولذلك يصعب على العقل الغربي تفهم هذا العقل الوافد لأنّه يخلط بين الكليّات والجزئيات وبين النص والاجتهاد، وبين العقل والنقل، والماضي والراهن، وما إلى ذلك من الثنائيات».

ويذهب الكاتب البريطاني المتعاطف مع العرب ليقول: «لم يتردد غارث إيفانس رئيس الحكومة الأسترالية السابق، والذي يرأس اليوم مركز أبحاث مهمّاً يدعى «فريق الأزمات الدولية» بالقول إن كل التهديدات الإرهابية القائمة اليوم مصدرها العالم العربي. وقد أجمع كبار السياسيين ورجال الأعمال الذين حضروا المنتدى الاقتصادي العالمي في (دافوس) هذه السنة (سنة ٢٠٠٤) على اعتبار التخلف الاقتصادي أحد الأسباب الأساسية، الذي يدفع العرب والمسلمين نحو الأصولية الإسلامية التي يمكن في بعض الأحيان أن تلجأ إلى الإرهاب»[٢٨].

ويرى نصر حامد أبوزيد أن الغربي (أمريكا) يبحث عن عدو فوجده في الإسلام لأنها ترى أن (التماسك) الاجتماعي الحقيقي يحدث في وجود خطر خارجي، كوجود إسرائيل![٢٩]، وهناك الكثير من الكتابات العربية التي تأخذ اتجاهًا يقول إن «الهجمة» على الثقافة العربية الإسلامية من الغرب غير مبررة، تأخذ الكثرة بجرم القلة، وتميل إلى التعميم بدل التخصيص، وتفارق المنهج العلمي الرصين في تحليل الأحداث.

تسمي الكاتبة التونسية خيرية الشيباني هذا النهج الغربي في اللوم الأحادي للعرب بـ «النهج التصادمي»[٣٠] بل يذهب بعض الكتاب العرب إلى استرجاع نظرية (أرنولد

توينبي) والاحتفاء بها وهي أن تسلط الغرب يشي بـ(موت الغرب)[٣١]، فيقول (جورج قُرم) «إن الخطاب النرجسي للغرب عن نفسه الذي لا يعرف حدودًا منذ انهيار الاتحاد السوفيتي، يهمش أكثر فأكثر الخطاب النقدي الذي صنع قوة الغرب»[٣٢] وبالتالي فإن الحرب على الإرهاب دون بصيرة أو فهم لبعض أسبابه هو من مظاهر أفول الحضارة الغربية ذاتها! إلا أن المدقق يرى أن هناك (علاقة حب /كره) بادية، فقد كشف استطلاع نشرته هيئة الإذاعة البريطانية BBC، وأجراه المجلس الثقافي البريطاني في خمسة بلدان عربية وإسلامية (بعد أحداث سبتمبر ٢٠٠١) أن «الولايات المتحدة هي أكثر الدول المفضلة لدى الشباب العربي المسلم» والرقم ضعف لثاني أكبر دولة مفضلة لديهم وهي اليابان[٣٣] يرى بعض العرب أن فكرهم المعاصر تجاه الحياة والتطور، يأخذ موقفين الأول موقف (سلفي) والثاني (تغريبي)؛ الأول يرى أن التحصن بالذات وبالتاريخ وبالخصوصية قد يكون أكثر فائدة في مواجهة التأخر التاريخي. والثاني يرى أن الاندماج في أفق معطيات الحضارة الغربية قد يكون أجدى، فهذا زمن الصعود الغربي[٣٤].

من الاستثناء و(الخصوصية) الثقافية إلى تحالف التسامح:

في غمرة انشغالنا جميعًا بمفهوم الإرهاب وحوار أو صراع الحضارات، نسينا أو كدنا ننسى مفهومًا استخدمناه بكثرة منذ سنوات قليلة وهو (العولمة)، وإن أعدنا التفكير في العولمة فإن أحد معانيها أنها تحمل فكرًا نقيضًا للصراع بل تأكيدًا على المشترك، فهي تتجه إلى تقارب المشارب، وتبادل المصالح وقبول الآخر.

ما نواجهه في حقيقة الأمر أن هناك رغبة سياسية وأخلاقية لدى قطاعات في الغرب ولدى بعض العرب بتأكيد «الاستثناء الثقافي» أو الوعي بوحدانية وتفرد وتفوق الثقافة الخاصة بذلك الشعب أو البلد أو الحضارة على غيرها من الثقافات. وهي ظاهرة نجدها لدى العديد من الشعوب، لعل فرنسا في الغرب، مثال أوضح في محاولتها للتفرد الثقافي، وإذا تطرف الشعور «بالاستثناء الثقافي » أو التفوق لدى مجتمع ما، يخلق بالضرورة ميلاً طبيعيًا إلى «العنصرية» الواعية أو المستترة سيان.

وليس أمام المثقفين في كلا الطرفين العربي، المسلم والغربي المسيحي، إلا الدعوة والعمل على إشاعة ليس مفهوم التسامح فقط، بل والقبول للآخر، الذي يقلل من غلواء الاستثناء الثقافي، ويحرص على المشترك. ولحسن الحظ أن هناك في المعسكرين الغربي والعربي المسلم، من العقلاء من يدعو إلى هذا التوجه.

لقد ظهر تقليد جديد في الفكر الغربي يعاكس الرفض المطلق للآخر، كما يعاكس التزلف المطلق للآخر، ويؤمن بتعدد الثقافات والعقليات والحضارات، ويدعو هذا الفكر، الذي جاء انقلابًا على مركزية الرجل الأبيض، يدعو إلى التخلص من داء التمركز العرقي حول الذات الذي رافق تكوين الوعي الغربي. كما يدعو إلى التحرر من رغبة السيطرة والهيمنة. يرى الروائي الإيطالي (امبرتو ايكو) أن «المصالح بين الشرق والغرب هي من التداخل والتعانق بحيث أنها أشبه ما تكون ببكرة لا يمكن فك خيوطها دون تدميرها»[٣٥] ويضيف إلى فكرة الروائي الإيطالي، سياسي بريطاني هو رئيس الوزراء (توني بلير) حيث قال: «هناك مشكلة حقيقية في العلاقات بين العالمين العربي المسلم، والغرب المسيحي، وأن جانبًا كبيرًا من المشكلة يرجع إلى سوء الفهم، وعلينا أن نبحث عن سبل لرأب هذا الصدع»[٣٦]

هناك من الغربيين من يهجو «نظرية الطبائع الثابتة» وينقدها نقدًا مرًا، لأنها غير علمية وتحمل نَفَسًا عنصريًا، دون أن تتجاوز مثل هذا الكتابات، وهو المهم، النظرة النقدية الموضوعية للآخر العربي المسلم، إلا أن هذه المدرسة ما تزال محدودة. كما يحذرنا من جهة أخرى كاتب عربي، أن من الخطأ النظر إلى الغرب وكأن لديه هو أيضًا «طبيعة ثابتة» فذاك يوقعنا في ما سماه «بالاستشراق المعكوس» وهو الخطأ الذي وقع فيه الكثير من المثقفين الغربيين، أي «مصيدة الطبيعة الثابتة» للشعوب والثقافات.

ونرى أن مفكرًا وسياسيًا إيرانيًا يدعو إلى التسامح ويطالب بأن «يضع القارئ نصب عينيه أن الإسلام دين حياة وشريعة العيش، وهذه الشريعة ليست تعليمات وأوامر

عسكرية صارمة، كي يشعر الشباب لدينا بالقلق والحيرة بشأن الدين والتدين، بل إنها مرشد عملي يتصل بقلبه ويفيد منها في عيشة سهلة وحياة سمحة، كالسمك في الماء لا كالطير في القفص»(٣٧). ويذهب كاتب عربي إلى القول «إن المشكلة التي نواجهها ليست مع الإسلام، بل إن أصل الداء يكمن في ما فعله المسلمون بالإسلام»(٣٨) حيث تم إنطاق النص وفقًا لآفاقه الضيقة، وهي مدرسة متوسعة تدعو إلى «الاجتهاد» الفكري، بدلاً من «الجهاد» العنفي.

ويرى البعض من الكتاب العرب أنه إذا كان الإرهاب «مدانًا» – من الغرب، وهو موقف صحيح، فعلى الغرب (وأمريكا بالذات) أن تتحمل جزءًا من هذا اللوم، فقد كان يناسب سياستها عندما قررت الاستعانة « بالتشدد» في محاربة الوجود السوفيتي في أفغانستان في الثمانينيات من القرن الماضي. ويشهد على ذاك التحالف كُتَّاب أمريكيون وعرب، فمثلاً (ريتشارد كلارك) في كتابه المسمى «ضد كل الأعداء» يقول إن «المخابرات الباكستانية الممولة من الولايات المتحدة، ولجان الخير وبعض الحكومات العربية، حولوا مجموعات من رجال القبائل الأفغان المنتمين إلى القرن التاسع عشر، وبعض آلاف من المتطوعين العرب، إلى قوة شلت القوة الكبرى للجيش الأحمر»(٣٩) ويخصص كاتب آخر كل كتابه لتأكيد «التسامح الأمريكي» مع المتشددين الإسلاميين في داخل الولايات المتحدة، عندما كانت تحتضنهم، ويحصي نشاطهم في الثمانينيات من القرن الماضي بل ويضع اللوم كله في كتابه «الجهاد الأمريكي» على المؤسسات الرسمية الأمريكية التي منعته من متابعة سبر غور تلك النشاطات وحذرته من مغبة عمله وقتها إلى درجة اقتراح بإعطائه هوية مختلفة حتى يختفي عن ملاحقة المتشددين وتهديدهم له.

ويقدم شاهد عربي من (الأفغان العرب) شهادته عن ذلك الزمن ليؤكد ما استقر عليه الكثيرون فيقول: «ساهمت عوامل كثيرة في تحقيق النصر على الاتحاد السوفيتي (في أفغانستان) على رأسها دور باكستان، ودور الدول العربية والإسلامية، ودول الغرب وعلى

رأسها الولايات المتحدة، التي قدمت دعمًا سياسيًا وعسكريًا». ولقد ثبت – يذهب هذا التوجه للقول – أن كل الأعمال الإرهابية التي حدثت وتحدث، إما نفذها «أفغان عرب» أو كان خلفها قيادات منهم أو من تلاميذهم. وذاك دليل على أن البعض «خلق شيطان الإرهاب وأراد أن يتخلى عن أعماله»، وأن تقسيم العالم إلى دار حرب ودار سلام أو إسلام «فسطاطين» لا يرجع إلى أصول الثوابت الإسلامية، وإنما إلى اجتهادات مختلفة (إنسانية) جاءت في ظل ظروف تاريخية محددة.

ويجد الرأي القائل أن أسباب الإرهاب الذي يواجه العالم، وليس الغرب وحده فقط، متعدد المدخلات، معقد الأسباب، فلا يجب أن ترمى كل الأسباب والدوافع أمام باب ثقافة ما، أو مجتمع بعينه، كما يفعل الغرب اليوم مع العرب المسلمين. مثل هذا الرأي له صدى واسع لدى كتاب ومثقفين عرب.

أما الغرب فيضع اللوم في الغالب على «فشل التنمية» في الأوطان العربية التي خلفت الفقر والهجرة إلى الخارج، واستساغت القمع، فدولة « الإكراه» العربية، هي السبب في نظر هؤلاء لكل أشكال الإرهاب المشاهد. لذا فإن الضغوط يجب أن تشدد تجاه هذه الدول لتعديل سياستها تجاه التنمية، ومن هنا بدأت صيحات الإصلاح تظهر مضطردة من الغرب، وتطالب أول ما تطالب بالإصلاح السياسي والاقتصادي في الدول العربية، كجزء من محاربة الإرهاب.

في الوقت الذي يشارك بعض العرب في الدعوة للإصلاح، ويرون أن الإصلاح لا يمكن أن يجتث « الإرهاب» دون أن يكون هناك حل شامل ومشرف للقضية الفلسطينية على قاعدة « القرارات الدولية» وأن انحياز الولايات المتحدة لصالح إسرائيل انحيازًا (أعمى) يؤجج الرأي العام العربي، ويجعل من إمكانية حضانة (الإرهاب) في المجتمع العربي الأوسع، أمرًا مبررًا ومقبولاً أخلاقيًا.

تناقش بعض الكتابات العربية أن «مفهوم الإرهاب في الشرق الأوسط» تحدده الموسوعة البريطانية بأنه بدأ مع إرهاب «العصابات الصهيونية» قُبيل ومباشرة بعد إنشاء دولة إسرائيل، فلم يكن قبل ذلك معروفًا في المنطقة.

وترد بعض الكتابات الغربية، بأن نوع الإرهاب الجديد وطريقته هي المختلفة فهو يختلف عن «الإرهاب صاحب المطالب» الذي يمكن التفاوض معه، بل هو سراب لديه قوة «مدمرة» هي قتل النفس، فيقول أحد المعلقين الفرنسيين «الفارق الجذري يكمن في أن الإرهابيين (الجدد) يملكون أسلحة السيستم (أسلحة العولمة) علاوة على ذلك سلاحًا مميتًا هو موتهم الشخصي»[٤٠].

قتل النفس أو التضحية بالنفس بهذا الشكل، هي الاختلاف الجديد في «الإرهاب» وتذهب النظرية لتقول إن الدافع للإرهاب المشاهد ليس (بسبب مطالب حياتية)، فهو يختلف تمامًا عن كل الأشكال الأخرى من الإرهاب. لذا ظهر تفكير قوي لدى عدد من المحللين أن الدوافع لهذا الإرهاب هي دوافع فكرية متأصلة في الثقافة العامة للمواطن العربي.

من هنا جاءت المطالبات الغربية بضرورة التغيير الثقافي، واستئصال العوامل الفكرية المؤدية لمثل هذا الإرهاب.

نجد أن «الثقافة» أصبحت حجر زاوية في الكثير من التوجهات الغربية، إشارة إلى أهمية التغيير الثقافي، فرئيس الجمهورية الفرنسي يؤكد في افتتاح اليونسكو بعد أقل من شهر من أحداث الحادي عشر من سبتمبر بقوله:«بتنا نسمع على نحو متعاظم الحديث عن تصادم الحضارات باعتباره السمة التي ستميز القرن الحادي والعشرين، تمامًا كما شهد القرن التاسع عشر تنازع القوميات، والقرن العشرون تصارع الإيديولوجيات»، إلا أن الكثيرين لا يرون أن «الوعاء» الثقافي العربي، وإن كان مؤطرًا بالإسلام، إلا أنه لا يتماثل ويتطابق مع ثقافات إسلامية أخرى معاصرة إلا في الأطر العامة فقط، وفيه اختلافات تظهر للمدقق الحصيف.

الخلاصة

أمامنا – حقيقة – حالة من الفهم الخاطئ بين طرفين، العرب المسلمين و الغرب، على مرونة المفهومين واتساعهما . فالغرب، أو هكذا تتشارك أدبياته، يضع أمام العرب والمسلمين قضيتين:

١- أن الغرب (الأمريكي والأوربي والياباني) أي الغرب الصناعي، يريد أن يحصل على النفط (المادة الخام التي تنعش شرايين الحياة في الدول الصناعية) بأسعار السوق الدولي.

٢- أن الغرب يريد أن يحافظ على أمنه وهو المهدد من العرب/ المسلمين بسبب الإرهاب والهجرة.

ولتحقيق ذلك ترى معظم التعليقات أن الشرطين لا يمكن أن يتحققا(خاصة الثاني)، لأن (الإرهاب يهدد الغرب) إلا بإصلاحات تنموية جذرية، لأنه إرهاب ناتج من فشل في التنمية الشاملة للعرب، لذا عليهم أن يصلحوا شأنهم.

ويرد العرب، المسلمون بالقول:

١- إن الإرهاب هو شأن عالمي، وليس عربيًا أو إسلاميًا وهو يهدد الجميع، وقد حدث في التاريخ الأوروبي، وما زال بعضه ماثلاً للعيان، كما يعاني العرب من بعضه.

٢- إن إحدى المشكلات العالقة والمزمنة هي القضية الفلسطينية التي يعاني شعبها الويلات من إسرائيل، التي يقدم الغرب لها الدعم الاقتصادي والسياسي غير المحدود مما يحفز الحقد والمقاومة لدى العرب، وهم ينظرون إلى إخوانهم يذبحون يوميًا بدم بارد وتغتصب حقوقهم.

تلك الإشكالية الرباعية التي يقف أمامها الجميع اليوم، ولا يبدو أن لها حلاً قد أزف في الأفق.

ينقل لنا كيسنجر مرة أخرى نظرته للطريق المسدود فيقول «العقبة الأساسية أمام بلوغ دبلوماسية السلام ذروتها هي المفاهيم المتباينة للفرقاء المعنيين تجاه قضية السلام، فالإسرائيليون والأمريكيون يعرفون السلام بأنه تسوية تنهي الدعاوى وتحدد وضعية شرعية دائمة، والفلسطينيون يعتبرون إسرائيل دولة دخيلة في المنطقة»[٤١]، ولكن النظرة الفلسطينية ليست كذلك فمحمود عباس (رئيس الوزراء الفلسطيني السابق، والمناضل التاريخي) يقول بأنه «طالب بوقف العمليات العسكرية من الجانب الفلسطيني، ووقف تعددية الأجهزة الأمنية، وبناء سلطة القانون، وأن عقل الدولة غير عقل الثورة»[٤٢] ولكن مثل هذه الأصوات تذهب أدراج الرياح، لأن الطرف الأقوى لا يريد أن يسمع.

✡✡✡✡✡

سيبقى إذاً الخلاف الغربي العربي تارة ساخنًا وخشنًا وتارة لينًا، إلا أن الطرفين يحتاجان إلى وضع أجندة اقتصادية سياسية وثقافية مشتركة يشارك فيها الجميع لتحقيق المصالح المشتركة، وهي كثيرة. والطرفان يحتاجان أول ما يحتاجان له هو فهم الآخر كما هو دون تضخيم أو تهوين.

لقد شُوهت الثقافة العربية في الغرب نتيجة الجهل، وأيضا بسبب الصراع العربي الإسرائيلي المتجدد والنازف، وقع الطرفان العربي والغربي، بسبب عنف اللحظة التاريخية، في تخندق عميق أمام تمجيد تطهري أو استئصالي عنصري. والاثنان سجناء لقيم لا بد من النظر إليها اليوم نظرة نسبية.

✱✱✱✱

هوامش

١- دراسة أعدها الأستاذ الدكتور محمد الرميحي، لندوة (الحضارة العربية الإسلامية والغرب: من الخلاف إلى الشراكة) التي تعقدها مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري ضمن دورة ابن زيدون في قرطبة، من ٤-٨ أكتوبر ٢٠٠٤، لا يجوز النقل أو استنساخ الورقة إلا بإذن مكتوب من المنظمين.

٢ - هنري كيسنجر، هل تحتاج الولايات المتحدة لسياسة خارجية، دار الكتاب العربي، بيروت، الطبعة الثانية ٢٠٠٣ ص ١٦٨.

٣ - عصام نعمان، وردت في بحث قدمه لندوة العمل الوطني، بيروت ١٧فبراير ٢٠٠٢.

٤ - Islam: a mosaic, not a monolith, Carnegie Corporation of N.W البحث موجود على موقع مؤسسة كارينجي بنيويورك

٥- عباس بيضون: شرق غرب، عنف الإسلام الكولوني، السفير ٢٩ ديسمبر ٢٠٠١.

٦ -عصام نعمان، مصدر سبق ذكره.

٧- مقابلة مع إدوارد سعيد، جريدة هيرالد تربيون الدولية ٢٩ مارس١٩٩٩ أجرى المقابلة كن شوللان.

٨- مستعرب بريطاني. يذهب لافين ورافائيل إلى اقتباس مشوه من أعمال الغزالي وابن خلدون وأبي العلاء المعري لتأكيد ما ذهبا إليه.

٩ - ني مرس، ترجمة فؤاد سروجي، آخر الباشاوات:غلوب باشا وفلسطين، الأهلية للنشر، عمان ٢٠٠٣.

١٠ - المرجع السابق ص ٢٧.

١١- عباس بيضون، مرجع سابق.

١٢- غلوب باشا، سبق ذكره، ص ٣٤.

١٣- لورانس:الأعمدة السبعة، النص بالإنجليزية.

١٤- انظر مجموعة من تلك الشواهد في كتاب جمال شلبي:العرب وأوروبا، رؤية سياسية معاصرة، المؤسسة العربية للنشر، عمان، ٢٠٠٠ ص٥٠ وما بعدها.

١٥- المصدر نفسه، ص ٥٢.

١٦- استخدم الكاتب العنوان هذا في مقال نشر في الصحف الخليجية في ٢٠ أبريل ٢٠٠٤ (الرأي العام الكويتية، البيان الإماراتية وعدد من الصحف الصادرة في الخليج)

١٧- ألكسندر دي فال: تحالف الإسلام والولايات المتحدة ضد أوروبا، بالفرنسية.

١٨- عصام نعمان، مرجع تمت الإشارة إليه سابقًا.

١٩- من أشهرهم منير شفيق وغيره من الكتاب.

٢٠- موقع الشهيد الإلكتروني، مجلة الشهيد، الكويت.

٢١- الرؤية الدينية الغربية في تصفية الحسابات مع الإسلام، موقع إلكتروني.

٢٢- نصر حامد أبوزيد: الإسلام و الغرب، حرب الكراهية لماذا؟ مجلة وجهات نظر، العدد ٣٦ يناير ٢٠٠٠، ص٢٤ وما بعدها.

٢٣- نبيل علي: عملية إطلاق العقل العربي، مجلة وجهات نظر، العدد ٨، السنة الأولى، سبتمبر ١٩٩٩، ص ٢٦.

٢٤- فهمي هويدي، نقلاً عن مفكرة الإسلام، ملخصات لندوة. موقع مفكرة الإسلام على الانترنت.

٢٥- روبرت سبنسر مدير مركز مراقبة الجهاد Jihad Wach ومؤلف كتاب (تقدم جنود المسلمين)، كيف يهدد الجهاد أمريكا والغرب.

٢٦- الخديعة الرهيبة، ترجمة رندة بعث، طبع في سوريا عام ٢٠٠٢.

٢٧- انظر ملخصات أبحاث الملتقى الثاني للإبداع الروائي العربي (الرواية والمدينة) دورة إدوارد سعيد، ١٨-٢٢ أكتوبر ٢٠٠٣ المجلس الأعلى للثقافة/مصر.

٢٨- باتريك سيل: لماذا يخاف الغرب من العرب، جريدة الحياة ٣٠ يناير ٢٠٠٤

٢٩- نصر حامد أبوزيد، مرجع سبق ذكره.

٣٠- خيرية الشيباني، بحث مقدم لندوة في اليونسكو (الصورة الراهنة للحضارة العربية الإسلامية في وسائل الإعلام الغربية) باريس ١٧-١٨ مارس ٢٠٠٤.

٣١- جورج قرم: شرق وغرب، الشرخ الأسطوري، دار الساقي، بيروت، ٢٠٠٣، ص٢٢.

٣٢- المرجع نفسه، ص٢٣.

٣٣- نشرت النتائج على موقع البي بي سي، في ١٧ يونيو ٢٠٠٢ في صدى الحوار. الموقع الإلكتروني.

٣٤- انظر المناقشة المستفيضة للدكتور كمال عبداللطيف (الإسلام والغرب) ألقاها في ليبيا ونشرت على موقع المركز العالمي لدراسات الكتاب الأخضر.

٣٥- في ورقة خيرية الشيباني.

٣٦- توني بلير، رئيس الوزراء البريطاني، أثناء فصل الأسئلة والأجوبة في البرلمان البريطاني، بتاريخ ٢٧ مايو ٢٠٠٤ (يوم الأربعاء).

٣٧- سيد عطاء الله مهاجراني: التسامح والعنف في الإسلام، ترجمة سالم كريم، دار الريس للنشر، بيروت أبريل ٢٠٠١ وهو كتاب يسرد فكر التسامح في الإسلام.

٣٨- عبد الوهاب المؤدب: أوهام الإسلام السياسي، ترجمة محمد بنيس، دار النهار، بيروت، ٢٠٠٢

٣٩- **Richard A Clarke, Against All Enemies, free press2004,P.50**

٤٠- جون بوديار وآخرون (مجموعة من الكتّاب الفرنسيين) ذهنية الإرهاب: لماذا يقاتلون بموتهم، ترجمة بسام حجار، المركز الثقافي العربي، لبنان، ٢٠٠٣ ص٢٨.

٤١- هنري كيسنجر، مصدر سبق ذكره.

٤٢- ورقة محمود عباس (أبو مازن) في ندوة مستقبل المنطقة التي عقدت في الكويت بتنظيم من مجلس الأمة الكويتي، مايو ٢٠٠٤.

****

ملخصات البحث باللغات

(العربية والإنجليزية والإسبانية والفرنسية)

نحن والآخر
الصراع العربي - الغربي

أ.د. محمد الرميحي

تحاول الورقة سبر غور موضوع الصراع العربي – الغربي من زاوية نظرة الغرب إلى العرب المعاصرين مقابل نظرة العرب إلى الغرب المعاصر وهل هناك طريق للتلاقي أم أن الفراق دائم وحتمي.

وكلمة (نحن) تعني العرب المعاصرين و(الآخر) تعني الغرب الأروبي والأمريكي المعاصر، والمعاصرين من مجتمعات صناعية حديثة.

والسؤال الذي يطرح نفسه هو: هل (نحن) – هنا – هم المسلمون الذين يشكلون ما مجموعه مليار ومائتي مليون نسمة حيث يشكل العرب ١٥٪ منهم فقط وهم موزعون على القارات الخمس في هذا العالم المترامي الأطراف؟ وهل (نحن) هم من يهدد الغرب بحضارته القائمة في الوقت الذي نشاركه ثمار تلك الحضارة؟ ومن هو (الآخر)؟ هل هو الغرب الذي تمثله الولايات المتحدة وأوروبا ودول الغرب الحضاري الواقعة في شرق بلاد الإسلام كاليابان مثلاً؟ وهل هذا الغرب هو (العدو) في كل وقت؟ أو أنه يمكن أن يكون عدواً في وقت ما ولسبب ما ومن ثم يصبح صديقًا لسبب آخر وفي وقت آخر، لماذا العداء الدائم!.

إن عدم فهم الطرف الآخر (الغرب) لنا وفي المقابل عدم فهمنا (نحن) للغرب يتمثل في المحاور التالية:

١ – كثرة الجنود الغربيين في منطقتنا لأسباب كثيرة، وعمق الرفض العربي للمساعدات التي يقدمها الغرب لإسرائيل لتحويل الصراع الفلسطيني الى معادلة صفرية ضد العرب ولصالح إسرائيل.

٢ – كثرة الانتحاريين في منطقتنا وحجم الكره لدى كثير منا للآخر الغربي وللأمريكي بالذات.

٣ – كثرة الحكومات التي تمارس حكمًا غير صالح (إكراهي) مع تزايد مبادرات الإصلاح السياسي والثقافي المطلوب منا كعرب القيام بها.

٤ – الظلم الواقع علي الشعب الفلسطيني، وكما يتأثر اليهودي في نيويورك بما يحدث في إسرائيل، يتأثر العرب وإلى حد كبير المسلم بما يحدث للفلسطينيين.

لهذه الأسباب مجتمعة نجد الكثير منا (نحن العرب) وأيضًا منهم (الغربيين) مشدوهين لتراكم السلبيات وازديادها، وأمام معضلة وضع أولويات لأجندة الاختلاف/ الاتفاق وتفاصيلها.

ولعل تراكم الفهم الخاطئ بين الطرفين قد أدى إلى اتساع الفجوة – فجوة العداء – بينهما، فالغرب بأدبياته المختلفة يضع أمام المسلمين قضيتين:

١ – أن الغرب وخاصة الصناعي يريد الحصول على النفط الذي يعتبر شريان الحياة للغرب.

٢ – أن الغرب يسعى إلى المحافظة على أمنه واستقراره ويرى في الإرهاب العربي/ الإسلامي تهديدًا له.

من جهة أخرى يرد العرب والمسلمون بالقول:

١ – إن الارهاب هو شأن عالمي ويهدد الجميع، والتاريخ خير شاهد على ذلك.

٢ – الدعم الغربي غير المحدود – بشقيه السياسي والاقتصادي – لإسرائيل وما يثيره هذا الدعم من حقد ومقاومة لدى العرب وهم يشاهدون إخوانهم يذبحون يوميّاً بدم بارد وتغتصب حقوقهم.

تلك الإشكالية التي يقف أمامها الجميع اليوم لا يبدو أن حلاً لها في الأفق قد أزف، وسيبقى الخلاف العربي – الغربي تارة ساخنًا وخشنًا، وتارة لينًا، وليس أمام الطرفين المتنازعين سوى وضع أجندة اقتصادية وسياسية وثقافية مشتركة لتحقيق المصالح المشتركة وفهم الآخر كما هو دون تضخيم أو تهوين.

****

Arab-Islamic Civilization and the West: From Disagreement to Partnership
The Image of the Other
The Arabic-Western Conflict

Dr. Muhammed Al-Rumaihi

"Summary"

The purpose of the paper is to examine the subject from a different angle: How do Westerners consider contemporary Arabs, and how do Arabs look upon contemporary Westerners? Will they meet up at a certain point? Or is the gap too deep, permanent and inevitable?

The question is: Who are "us"? Are they the Muslims, who count for approximately one billion and two hundred million (Arabs representing no more than 15% of them) who are scattered on all five continents of this infinite world? Moreover, are "us" who are threatening the West and its current civilization while we are sharing with them the fruits of this civilization?

On the other hand, who is the "other"? Is it the West represented by the United States, Europe and the civilized West located at the east of the Islamic countries? Is that west the enemy of all times? Or can this aversion be, at one time, for a particular reason, and then turns into an alliance at another? What are the reasons behind aversion?

Lack of awareness between the two parties "us" and "others" is represented in four axes:

1. **The large number of foreign troops in our region, due to a number of reasons; alternatively, there is the total repudiation from the Arabs against the West's assistance to Israel, which renders the Palestinian struggle into an unfair equation for the Arabs, and to the benefit of Israel.**

2. **The large number of suicide bombers in our area, and the immense hatred that many of us have to the Westerners, and the Americans in particular.**

3. **The excess of unfit governments in the region, with a growing interest in the political and cultural initiatives of reform, that we Arabs are requested to undertake.**

4. **The injustice bestowed upon the Arabs in Palestine, which belongs to the Arabs, and as the Jews in New York are affected by what is happening in Israel, in the same way, the Arabs, especially the Muslims, are affected by the fate of the Palestinians.**

The accumulation of misunderstanding between the two parties, namely the Muslim Arabs and the Westerners, has led the West to place two concerns before the Arabs and the Muslims:

1. **The West, namely the industrial west, wants to acquire the Arab oil, which is considered the invigorating raw material for these countries.**

2. **The West endeavors to preserve the peace and security, both of which are threatened by the Arabs (Muslims because of terrorism and immigration).**

On the other hand, the Arabs and Muslims answer those concerns with the following:

1. **Terrorism is an international issue, and not simply Arab or Islamic, and it threatens everyone, Muslims and non-Muslims, Arabs and non-Arabs, and history is a good witness.**

2. **The unlimited Western political and economic support to Israel, which creates the Arabs hatred and resistance by seeing their brothers cold, bloodily slaughtered and their rights violated.**

This is the quadrilateral intricacy rising before everyone, and there seem to be near solution waving in horizon. Therefore, the Arab-Western conflict will remain hot and harsh at times, and will soften at others. Nevertheless, both parties need to establish economic, political, and cultural joint agenda in order to achieve common interests and to better understanding the "other" as they are, without any under/over estimation.

✷✷✷✷

Nosotros y el otro

Por/ Dr. Muhammad al-Rumaihy

Resumen

En este papel intentamos profundizarnos en el asunto de la lucha arabo-occidental, basándonos en el punto de vista europeo hacia los árabes contemporáneos y viceversa, y aclarando si los dos pueden encontrarse, o la lucha entre ambos es irrevocable y perenne.

Cabe señalar que, en el trabajo la palabra nosotros indica a los árabes, y el otro se refiere al occidente europeo y americano, refiriéndonos siempre a las sociedades industriales contemporáneas.

Una preguntas que se plantean ante nosotros son: "؟ A quién se refiere al decir "nosotros" y "el otro"? ؟ A los musulmanes que superan actualmente los mil doscientos millones, repartidos en los cinco continentes, de los cuales los árabe forman sólo el 15 %? ؟ Somos "nosotros" quienes amenazamos al Occidente, dueño de una civilización en la cual todos vivimos, ellos y nosotros? Y ؟ quién es el "otro"? ؟ Podría ser el Occidente representado por los Estados Unidos, Europa y los países avanzados del extremo oriental del planeta? ؟ Es duradera la enemistad de este "Occidente" hacia "nosotros" o puede, por un motivo u otro cambiarse en amistad?

La falta de comprensión entre "el otro" -el Occidente- y "nosotros" se debe, según creo, a varios factores:

1 - Por una parte, la existencia exagerada, por varias razones, de soldados occidentales en nuestra zona y, por otra, el rechazo insistente de los árabes a las ayudas occidentales a Israel y los intentos interminables de que la lucha palestino-israelí termine a favor de los israelíes.

2- La abundancia de los suicidas en nuestra zona y el odio infinito de algunos de "nosotros" hacia el Occidente en general y a los americanos en especial.

3- Los regímenes totalitarios, o coercitivos, que siguen varios gobiernos en nuestra zona y la creciente reclamación de reforma política a aplicar en nuestros países.

4- La fuerte opresión a que está sometido el pueblo palestino. Hay que tener en cuenta, al respecto, que si el judío de Nueva York se conmueve con lo que sucede en Israel, lo mismo sienten los árabes ~y los musulmanes en general - hacia lo que padecen los palestinos.

Debido a todo ello, estamos sorprendidos los árabes, y también muchos occidentales, ante los crecientes aspectos negativos y ante la difícil elección de las prioridades de la agenda de acuerdo / desacuerdo entre ambas partes. Es posible que la mala comprensión de cada uno hacia el otro profundizó la enemistad entre los dos, debido a lo cual el "Occidente" pone ante los musulmanes dos cuestiones:

1- Que el Occidente, especialmente el industrial, no puede prescindir del petróleo, arteria de la vida occidental.

2 - El "Occidente" intenta garantizar su seguridad y estabilidad, y opina que el "terrorismo" árabe-islámico es una amenaza para sus intereses.

Por otra parte, los árabes y musulmanes contestan con lo siguiente:

1- Que el terrorismo es una cuestión internacional que amenaza a todos, algo que prueba la historia.

2- Que el ilimitado apoyo occidental -político y económico a Israel motiva el odio y provoca el espíritu de resistencia en los árabes, viendo diariamente la matanza, a sangre fría, y la usurpación de los derechos de sus hermanos.

No creo que esta problemática, objeto de la atención de todos en la actualidad, tenga una solución en el futuro cercano; y el desacuerdo árabe-occidental seguirá por un tiempo, unas veces fuerte y otras leve. Parece ser que las dos partes no tendrán más remedio que poner una agenda común de intereses económicos, políticos y culturales que garantice el bien común y la comprensión de cada uno al otro, tal como es sin exageración ni depreciación.

✷✷✷✷

Nous et l'Autre.
Le conflit arabo-occidental

Dr. Mohamed Al Rumaihi

Cette feuille essaye de pénétrer le conflit arabo-occidental sous l'angle de la vision que l'Occident a des arabes modernes face à la vision que les arabes ont de l'Occident moderne pour voir s'il y a une possibilité de rencontre ou si la séparation est définitive et inéluctable.

Le mot " Nous " concerne les arabes contemporains et le mot " autre " désigne l'Occident Européen et américain contemporain et les sociétés industrielles modernes.

La question qui se pose est: Est-ce que "nous", ici , sommes les musulmans qui forment un Ensemble d'un milliard deux cents millions d'individus répartis sur les cinq continents où les Arabes représentent seulement 15%? Est-ce que "nous" sommes ce qui menace l'Occident et sa civilisation actuelle tout en partageant avec lui les fruits de cette civilisation. Et qui est L'"autre"? Est-ce que c'est l'Occident que représentent les Etats-Unis , l'Europe et les pays de civilisation occidentale situés à l'Est du monde musulman comme le Japon? Est-ce que cet Occident est "l'ennemi" de tout temps? Ou si à un moment donné et pour une raison donnée, il peut être un ennémi et après devenir un ami pour une autre raison et à un autre moment.

Pourquoi l'éternelle animosité?

L'absence de compréhension mutuelle entre nous et l'Occident réside dans les points Suivants:

1 - La présence de nombreux militaries occidentaux dans notre region pour plusieurs raisons Et le profond refus arabe de l'aide occidentale à Israël qui fait de la lutte palestinienne une équation nulle,contre les arabes et dans l'intérêt de l'Etat juif.

2-La multitude de suicidaires dans notre région et la grande haine qu'éprouve notre majorité Pour l'"autre" occidental et américain en particulier.

3-Le grand nombre de gouvernements qui dirigent d'une façon malsaine et contreignante Avec l'augmentation des initiatives de réformes politiques et culturelles qu'on demande à nous, Arabes d'entreprendre.

4-L'opression subie par le peuple palestinien : comme le juif de Newyork est sensible à ce qui se passe en Israël , l'arabe ou le musulman dans une grande mesure est touché par ce qui se Passe en Palestine.

Pour ces raisons reunies, on trouve beaucoup d'entre nous (les arabes) et beaucoup d'entre Eux (les occidentaux) ébahis par l'accumulation et l'augmentation des négativismes et devant la Difficulté de définir les priorités et les détails de l'agenda désaccord / accord.

L'accumulation de l'incompréhension entre les deux parties a élargi le fossé , fossé Conflictuel , entre elles. Ainsi,l'Occident,avec sa déontologie variée met les musulmans devant Deux exigences:

1- L'Occident et surtout l'Occident industriel veut avoir le pétrole qui est considéré comme Vital pour lui.

2- L'Occident cherche à préserver sa sécurité et sa stabilité et voit que le terrorisme arabo-musulman représente une menace sérieuse pour cette stabilité.

De l'autre côté, les arabes et les musulmans rétorquent:

1- Le terrorisme est une affaire internationale qui menace tout le monde,et l'histoire en est témoin.

2- Le soutien sans limites aussi bien politique qu'économique de l'Occident à Israël et ce Qu'il entraine comme haine et résistance chez les arabes qui voient quotidiennement leurs Frères tués et dépossédés de leurs droits.

Cette problématique qui se dresse devant tout le monde n'a pas de solution visible à l'horizon Et le conflit arabo-occidental restera tantôt chaud et brutal,tantôt souple.

Les deux protagonistes n'ont d'autres choix que de mettre sur pied un agenda politique Culturel et économique commun pour servir les intérêts mutuels et pour favoriser la compréhension de l'autre tel qu'il est sans exagération ni négligence.

✡✡✡✡

رئيس الجلسة:

شكرًا للدكتور محمد الرميحي الذي كان مُبينا معربًا عن فكرة بما لا يحتاج أن يلخص.. والفرصة الآن لسماحة العلامة آية الله الشيخ محمد علي التسخيري، في خمس عشرة دقيقة أيضًا في ذات المحور.

الشيخ محمد علي التسخيري:

شكرًا السيد الرئيس .. أشعر بكثير من الغبطة والسرور وأنا أتحدث أمام هذه الثلة المنتخبة من السيدات والسادة، وفي هذا الجمع الكريم الذي كان للأستاذ الشاعر عبدالعزيز سعود البابطين الفضل في بسط محفله، وتحت ولاية سيدي الرئيس د.البشير، وهو العالم المفكر والداعية الكبير. ولا أمدحه طمعًا في دقائق يضيفها إلى وقتي، وإنما أريد أن يُعمل ولايته، فمتى انتهى الوقت يأمر، ونحن نطيع.

✱✱✱✱

صــورة الآخـــر(*)

الشيخ محمد علي التسخيري

المقدمة

﴿الرحمن علّم القرآن خلق الإنسـان علمه البيـان﴾[١]. وهكذا كانت نعمة البيـان من أروع نعمه تعالى على الإنسان ليشكل الجسر الطبيعي الذي تعبر من خلاله الأفكار من إنسان لآخر ومن جيل لآخر ويتحقق بذلك هدف خلق الإنسان وهو تكامله من جهةٍ وإعمار الأرض من جهة أخرى.

فاللغة إذًا تكميل لنعمة الخلق، ووصل للحلقات الإنسـانية المتتابعة، وتنظيم لمسيرة الفكر الإنساني نفسه، حتى أن البعض تصور أنّ أداة الفكر هي اللغة وبدونها ينعدم الفكر. ونحن وإن أنكرنا ذلك لأنه منتج اللغة وصـانعهـا ولكننا نؤمن أنّ وضـوح الرمـوز اللغـوية للجـوانب الفكرية وغناها يوفر مسـاحـات نمو الفكر ونضـجه ومنطقيته بلا ريب. فـاللغـة وسليـة إغناءٍ للفكر، والفكر نفسه جسر يعبره الإنسان للخلاص من سجنه الذاتي عبر الاستعانة بمكنوناته الفطرية التي أودعها الباري في طينته يوم خلقه إنساناً سوياً يسعى لهدف سام.

إنَّ هذه المكنونات الفطرية تخرجه الى عالم أرحب من ذاته وتربطه بواقع خارجها لينتقل عبـر إيمانه به إلى حـقيـقـة كبـرى هي التي أوجـدت كل هذا العـالم وبدونهـا يبقى العـالم بلا تفـسـيـر.. إنَّ الإنسـان يجـادل ويشكك وحق له أن يفـعل ذلك ﴿وكـان الإنسـان أكـثـر شيء جدلاً﴾[٢]، حتى يستقر على الحقيقة المطلقة ويتوصل إليها عن طريق قناعة عقلية ثم ليعبر بها العقل الى كل وجوده فيطمئن بها قلبه ﴿قال أوَلم تؤمن قال بلى ولكن ليطمئن قلبي﴾[٣].

(*) اختار الباحث اسمًا آخر لبحثه هو (تصحيح صورة الآخر بين العالم الإسلامي والغرب).

إنّ النصوص الإسلامية التي علمتنا هذه الحقائق هي التي شجعت فينا منطق الحوار للوقوع على صخرة الحقيقة وهي التي جعلت التفهيم والتفاهم والاقتناع الوسيلة الإنسانية الحضارية للتواصل والتأثير والتأثر والتفاعل الإيجابي: لتتبين الحقيقة و﴿ليهلِك من هَلَكَ عن بينة ويحْيَا من حَيَّ عن بينة﴾[٤].

و﴿لئلا يكون للناس عليكم حُجَّةٌ﴾[٥]. و﴿لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾[٦].

إنها الدعوة الواضحة البينة والتعامل الإنساني بالفكرة والمنطق والحوار، أما الإكراه وخلق الأجواء الموهمة والإعلام المضلل وشراء الأفكار وغير ذلك فهو منطق الطاغوت ﴿الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور والذين كفروا أولياؤهم الطاغوت يخرجونهم من النور إلى الظلمات﴾[٧]. إنه المنهج النيّر اللاحب الذي لو سلكته البشرية لوصلت إلى الصواب.

وإنه ليخطئ من يتصور أنّ الحوار منطق الضعفاء!! كلا بل هو منطق الأقوياء حقاً، فالمحاور الحق إما أنه يعلم أنه يعرض جوهرة ثمينة لا يخشى عليها من الصقل والامتحان، أو أنه يمتلك الشجاعة النفسية التي يتخطى بها قناعاته إذا تبينت له قوة الرأي الآخر.

الإسلام والاجتهاد

وقد سمح الإسلام منذ انطلاقه لعملية الاجتهاد أن تؤتي ثمارها ولكن في إطارها الطبيعي وهو السعي لفهم الموقف الإسلامي تجاه السلوك الفردي والاجتماعي من خلال سبر المصادر التي جعلها الإسلام مرجعاً لآرائه.

شروط الحوار في القرآن الكريم

وإذا كان الإسلام قد سمح بالاجتهاد واعتمد العقل والبرهان سبيلاً منطقياً للإقناع فمن الطبيعي أن يحبذ الحوار ويدعو إليه على كل الأصعدة، وهي من قبيل:

أ - الحوار بين المسلمين المختلفين في الشؤون الشخصية.

ب - الحوار بين المختلفين في القضايا الاجتماعية.

ج - الحوار بين الفقهاء.

د - الحوار العقائدي.

هـ - الحوار بين الأديان.

و - الحوار بين الحضارات.

وفي كل هذه الأنماط نجد النصوص الإسلامية تركز على بعض الشروط الضرورية، وقد تحدث علماؤنا القدامى عن آداب الحوار والجدال، ولكننا ندخل ما ذكروه جميعاً في منطقة الشروط الضرورية لأنها جميعاً إن لم تتوافر عرّضت النتائج لخطر التمويه. وما نريد التحدث عنه من الشروط المهمة هو ما يلي:

أولاً: تحرير محل الحوار

وهو أول شرط وأهمه فإن الحوار قد يكون مضيعةً إذ يتبين للمتحاورَيْن بعد فترة طويلة أنهما كانا يركزان حديثهما على محورين مختلفين، أو وجهتين متفاوتتين، ولذا كان ديدن علمائنا البدء بتحرير محل النزاع وتشخيص أبعاده ليكون الاستدلال منتجاً، وهذا شرط منطقي لا نحتاج للاستدلال عليه(٨). وهو ضروري ليكون المتحاوران على بصيرة . يقول تعالى: ﴿قل هذه سبيلي أدعو الى الله على بصيرةٍ أنا ومَنِ اتبعني﴾.(٩)

ثانياً: الموضوعية

ونعني بها الدخول الى مرحلة الحوار بعد التخلي مؤقتاً عن كل القناعات السابقة والسعي لطلب الحق أينما كان.

وهذا هو القرآن الكريم يخاطب الرسول الكريم وهو القمة في الإيمان واليقين بأن يدخل في الحوار بروح موضوعية هادفة ليقول ﴿وإنّا أو إيّاكم لعلى هدًى أو في ضلالٍ مبين﴾.(١٠)

ويقـول تعـالى: ﴿قل فـأتوا بكتـاب من عند الله هو أهدى منهـمـا أتَّبِـعْـهُ إنْ كنتم صادقين﴾.[١١] وهو أمر أكده السابقون من علماء الأخلاق وغيرهم.

يقول صاحب ﴿المحجة البيضاء في إحياء الأحياء﴾ عند التحدث عن شروط المناظرة: الأول: «أن يقصد بها إصابة الحق وطلب ظهوره كيف اتفق، لا ظهور صوابه وغزارة علمه وصحة نظره، فإن ذلك مراء منهي عنه بالنهي الأكيد» ويضيف: «أن يكون في طلب الحق كمنشد ضالة يكون شاكراً متى وجدها ولا يفرق بين أن يظهر على يده أو يد غيره فيرى رفيقه معيناً لا خصماً ويشكره إذا عرفه الخطأ وأظهر له الحق».[١٢] ﴿الذين يستمعون القول فيتّبعون أحسنه﴾.[١٣]

ثالثاً: الانسجام بين مؤهلات أطراف الحوار والموضوع نفسه

فلا معنى للحوار حول موضوع لا تعلمه الأطراف أو لا يعلمه أحدهم أو لا يتخصص فيه إن كان مما يحتاج للتخصص. يقول تعالى: ﴿ها أنتم هؤلاء حاججتم فيما لكم به علم فلم تحاجّون فيما ليس لكم به علم، والله يعلم وأنتم لا تعلمون﴾.[١٤]

ويقـول سـبـحـانه: ﴿إن الذين يجـادلون في آيات الله بغـيـر سلطان أتاهم إن في صدورهم إلاّ كِبْرٌ ما هم ببالغيه فاستعذ بالله إنه هو السميع البصير﴾.[١٥]

وهنا يقول أحد العلماء: ﴿الثامن أن يناظر مع من هو مستقل بالعلم ليستفيد منه إن كان يطلب الحق﴾.[١٦]

ومن هنا فنحن نعتقد أنّ طرح الاستدلالات العلمية الدقيقة في المجامع العامة مع اختلاف مستويات الحاضرين أمر يجانب شروط الحوار.

رابعاً: الانطلاق من المبادئ المتفق عليها

إنَّ الحوار لن ينتج مطلقاً إذا لم تكن هناك مبادئ متفق عليها مسبقاً، وفرضيات مسلّمة يرجع إليها المتحاوران. ومن هنا رد الجميع عنصر المصادرة على المطلوب

واعتبروه أسلوباً مخاتلاً ... ولا سبيل هنا إلا التنبيه على بعض القضايا الوجدانية، ومن هنا نجد القرآن الكريم يرد على أولئك المنكرين للبديهيات بتنبيههم لخطأ ما يعتقدون وإيقافهم أمام تساؤلات فطرية إذ يقول تعالى لأولئك المقلدين لآبائهم (دونما منطق): ﴿وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتّبع ما ألفينا عليه آباءنا أَوَ لَوْ كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون﴾[١٧]. ويقول تعالى: ﴿وكذلك ما أرسلنا من قبلك في قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أُمّةٍ وإنا على آثارهم مقتدون. قل أَوَلَوْ جئتكم بأهدى ممّا وجدتم عليه آباءكم قالوا إنّا بما أرسلتم به كافرون﴾.[١٨]

فإن هؤلاء قوم لا يؤمنون بشيء مشترك مع المحاور المسلم، وما عليه إلا أن ينبههم على بعض المشتركات الفكرية من قبيل: (إن المجانين لا يتبعون فإذا افترضنا أنّ آباءهم مجانين فهم لا يتبعون، إذًا فعليهم التحقيق).

خامساً: المنطقية

بحيث يسير البحث بشكل منطقي وتؤدي المقدمات إلى النتائج بشكل طبيعي وذلك دونما تحايل أو مماطلة أو جدال عقيم، والنصوص التي تنهى عن الجدال والمراء كثيرة. منها قوله تعالى: ﴿ما ضربوه لك إلا جدلاً بل هم قومٌ خصمون﴾.[١٩] وقوله تعالى: (وكان الإنسانُ اكثرَ جدلاً﴾[٢٠]. في حين تدعو للبرهنة المنطقية ﴿قل هاتوا برهانكم﴾.[٢١]

وقد رأينا العلماء يردون التحايل على الطرف الآخر ويذكرون لذلك أمثلة من قبيل:

أ – إبهام العبارة حتى لا يفهمها الطرف.

ب – الاحتيال عليه حتى يخرجه من محل تساؤله.

ج – توجيه كلام السائل الى وجوه محتملة.[٢٢] بل تحدثوا عن الصفات التي قد يبتلى بها المتحاوران نتيجة عدم القدرة على امتلاك الموقف من قبيل الحقد والحسد وتزكية النفس والفرح بمساءة الآخرين، والاستكبار عن الحق، وكل ذلك لكي تعود الى المحاور شخصيته الطبيعية التي تحقق منطقيته في الحوار.

سادساً: الابتعاد عن جو التهويل أو ما يسمى بتأثير العقل الجمعي

ففي مثل هذا الجو يفقد الحوار جوه المطلوب، ولا معنى فيه للاستدلال المنطقي الهادئ الحكيم. ومن خير الأمثلة على ذلك ما ذكره القرآن الكريم من جو انفعالي واجه المشركون به النبي ﷺواتهموه بالجنون، ولذلك طلب من الرسول ﷺ أن يدعوهم الى نبذ هذا التهويل والعودة الى الهدوء المطلوب ثم التفكير بما يتهمونه به، يقول تعالى: ﴿قل إنما أعظكم بواحدةٍ أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكَّروا ما بصاحبكم من جِنَّةٍ إن هُوَ إلا نذير لكم بين يَدَيْ عذابٍ شديد﴾.[٢٣]

سابعاً: أن يكون الحوار مما يترك أثراً علمياً أو فكرياً

فلا معنى للحوار حول افتراضات تجانب الواقع. ولا معنى للتساؤلات غير المفيدة أو التي لا يمكن الإجابة عليها ﴿ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي﴾[٢٤]. ﴿يسألونك عن الساعة ايان مُرساها. فيم أنت من ذكراها. إلى ربك منتهاها﴾[٢٥]. فينبغي أن يتم الاهتمام بالقضايا العملية ﴿فأما الزبد فيذهب جُفاءً وأما ما ينفع الناسَ فيمكث في الأرض﴾[٢٦].

يقول الغزالي: (الرابع أن يناظر في واقعة مهمة أو في مسألة قريبة من الوقوع و أن يهتم بمثل ذلك)[٢٧].

ثامناً: الاتجاه في الحوار للوصول الى المساحات المشتركة وتوسيع هذه المساحات

يقول تعالى: ﴿قل يا أهل الكتاب تعالوا الى كلمة سواء بيننا وبينكم ألاَّ نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئاً ولا يتخذ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله﴾.[٢٨]

تاسعاً: احترام الرأي والطرف الآخر والدقة في التعبير

يقول تعالى: ﴿قل لا تُسألون عمّا أجرمنا ولا نُسأل عمّا تعملون﴾[٢٩].

عاشراً: اتباع الأسلوب الأحسن بعيداً عن العنف

يقول تعالى: ﴿ادْعُ الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن إن ربك هو أعلم بمن ضلّ عن سبيله وهو أعلم بالمهتدين﴾.[٣٠] ﴿وقل لعبادي يقولوا

التي هي أحسن﴾.[٣١] ﴿ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن إلا الذين ظلموا منهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم وإلهنا وإلهكم واحد ونحن له مسلمون﴾.[٣٢]

القيم والمصالح أساس العلاقات بين العالم الإسلامي والغرب

لا شك أن هناك في العالم الإسلامي صحوة إسلامية شاملة وقد تجلّت بشكل أكثر وضوحاً في منتصف القرن الماضي، وقد رأينا بعض مظاهرها والتي قد تكون أيضاً عناصر مساعدة على اتساعها وتعميق جذورها، متمثلة في قيام المؤسسات الشمولية في أواخر الستينيات كرابطة العالم الإسلامي ومنظمة المؤتمر الإسلامي، ونجاح الثورة الإسلامية في إيران، وهزيمة الاتحاد السوفيتي في أفغانستان، وانتشار المطالبة بتطبيق الإسلام في شتى أنحاء العالم الإسلامي، وتنامي الشكوك في نوايا الغرب تجاه العالم الإسلامي، وانتشار العادات والظواهر الإسلامية خصوصاً بين الشباب وأمثال ذلك.

وقد دفع هذا التحول الكبير بعض الدول العظمى كأمريكا لتغيير استراتيجياتها، وبعض المفكرين ليعيدوا النظر في تحليلاتهم الحضارية وأسلوب التعامل بين الحضارات، كما دفع بعض ذوي النظريات المتطرفة الى العودة إلى نظريات تقسيم العالم إلى متحضر ومتوحش، وبالتالي تطبيق مبدأ قانون الغابة مع سكانها، وأنه لا معنى للتعامل معهم وفق المبادئ الإنسانية. وقد أنجزت أعمال تحقيقية لها قيمتها الدراسية في هذا المجال.[٣٣]

وقد كانت محاولات المحللين الغربيين تنصب على عناصر ثلاثة في مجال تبيين سبب الظاهرة، وهي:

١ - مسألة انقسام المجتمعات الإسلامية إلى خطوط ثقافية ثورية أو رجعية وصراع هذه الخطوط.

٢ - مسألة سعي الغرب أو الحكومات الموالية له إلى تهميش العنصر الإسلامي والمظاهر الإسلامية.

٣ - عمل المفكرين الإسلاميين على الاستفادة الجيدة من ظروف الانفتاح الإنساني وحقوق الإنسان لغرض إثارة الحماس في العالم الإسلامي.

والمحللون الغربيون بذلك ينقسمون في مجال التعامل الإسلامي الغربي الى فريقين:

الأول: من يرون أنّ مجال التصالح بين الغرب والإسلام مغلق ونفقه مظلم، لأن السرّ يكمن في أن الإسلام نفسه يرفض الغرب قيميّاً ولا يسمح مطلقًا بالتعايش أو ما يسمونه بالانسجام مع الحداثة أو التغريب. وتسميهم الكاتبة شيرين هانتر بالمستشرقين الجدد[٣٤]، أما نحن فيمكن أن نسميهم بفلاسفة (اليأس الحضاري). ومن هؤلاء مثلاً (مارتن كرامر) الذي ينعى على مخالفيه تساهلهم في الأمر ويسميهم (الاعتذاريين) ويرى أن عملية الإحياء الإسلامي ستقضي على نفسها في نهاية القرن كما يرى (أموس برلوتر) في مجال العلاقة بين الإسلام والديمقراطية (إن المسألة ليست الديمقراطية بل الطبيعة الأصلية للإسلام)[٣٥].

ولا نعدم في عالمنا الإسلامي من يصور العلاقة في ثنائية متنافرة تنافر الإسلام والجاهلية.

الثاني: يرى إمكان التعايش نتيجة حيوية الإسلام وقدرة التجربة الإسلامية على التغير والتكيف، كما يرى أنّ الانبعاث الإسلامي ناتج لا من قدرات الإسلام الذاتية بل من الحرمان الاقتصادي والاستلاب الاجتماعي والحرمان السياسي أيضاً وهذا ما يؤكد عليه (فرانسوا بورغات) كما يرى أيضًا بعدًا ثقافيًا لهذه الحركة كجهد للاستقلال الثقافي ويقول: «نحن نشهد الوجه الثالث لعملية إزالة الاستعمار. فالوجه الأول كان سياسياً – حركات الاستقلال – والثاني اقتصادياً – تأميم قناة السويس في مصر والنفط في الجزائر – أما الوجه الأخير فهو ثقافي»[٣٦]. ويدعو هؤلاء الى سياسة التعامل بإيجابية، وتسميهم الكاتبة (شيرين هانتر) بالعالم ثالثيين[٣٧]، وأسميهم بـ (مفكري التوافق)، وهناك كثيرون من المفكرين الإسلاميين ينحون هذا المنحى.

وإذا كنت أنعى على الأولين بعدهم عن فهم طبيعة الإسلام المرنة، وفهم حقيقة الصراع الطويل بين العالم الإسلامي والعالم الغربي بكل ما فيه من مد وجزر، فإني أنكر على اتباع الاتجاه التوافقي الغربي اعتبارهم قيم الحضارة الغربية هي الأصل، ومدى قدرة الإسلام على الانسجام معها هو المعيار في حيوية الإسلام.

فهذا (برايان) في سلسلة مقالاته عن الموضوع في (الايكونوميست) اللندنية عام ١٩٩٤ يبدو توافقياً داعياً الغرب الى شيء من الانحياز إلى المعنويات وداعياً العالم الإسلامي إلى الإيمان بكل القيم الغربية معتبراً أنّ العالم الإسلامي يمر اليوم في قرنه الخامس عشر الهجري بنفس الحالة التي كان الغرب يمر بها في قرنه الخامس عشر الميلادي، وكما كان الإسلام العامل الخارجي المؤثر آنذاك لحدوث النهضة فيجب أن يكون الغرب هو العامل الخارجي المؤثر في نهضة العالم الإسلامي اليوم.

وكذا نجد (شيرين هانتر) فهي تدعو الغرب إلى شيء من التدين وتدعو العالم الإسلامي إلى العلمانية ليتم حل المشكلة[٣٨].

وكأن الأمر يدور بين حالتين فإما أن يتنازل الإسلام عن قيمه ليرضى الطرفان: اليائسون والتوافقيون، أو يوصف بأنه العدو الحضاري على طول المدى للغرب. ولنصور هذه الثنائية الحدية بشكل آخر، فإما أن يكون معيار الصراع القيم فلا تلاقي في البين، أو يكونا لمصلحة فهناك آفاق للتعاون والتعايش.

ولكي نربط بين التعامل الإسلامي الغربي والتعامل الإسلامي المسيحي في حركة الواقع اليوم – وهناك من سحب الواقع الغربي على كل الساحة المسيحية – نبدي الملاحظتين التاليتين:

الملاحظة الأولى:

إنّ هناك خلطاً واضحاً أحياناً بين الإسلام كمنظومة قيم، والمسلمين كأمة تعتنق الإسلام، فالواقع التطبيقي للإسلام ولمسيرة الأمة لا يعكس في ظروف ليست قليلة، حقيقة القيم الإسلامية في حركتها العملية، فلا يمكن مثلاً اعتبار تصرف حاكم معين منطلقاً من

الثقافة الإسلامية حتماً، خصوصاً وأنَّ الحكم الإسلامي ابتلي بفترات استبداد وبعد عن القيم يتبرأ منها المسلمون أنفسهم، كما أن القيم الغربية والسلوك الغربي لا يعني بالضرورة رضاً مسيحياً عنه، بل إنّ محاولات التخلص حتى من النَفَس المسيحي معروفة.

إلا أننا لا نجانب الحقيقة إذا قلنا إنّ روح القيم الإسلامية هي التي تحرك التيار العام في العالم الإسلامي حتى لو افترضناه علمانياً، كما أنّ الروح المسيحية تفعل فعلها وتترك تأثيرها الجذري على مجمل الحياة الغربية. ولكنهما (الإسلام والمسيحية) يبقيان مصونين عن أي انحراف في العالم (الإسلامي والغربي) لا يمت الى قيمهما بصلة.

ومن هنا نجد الفرق واضحاً في مجال النظرة أو في مجال التعايش في الغرب عنهما في العالم الإسلامي حتى أنّ المرء لا يحسّ بكثير من الفوارق بين المسلم والأرمني الإيرانيين أو القبطي والمسلم المصريين في الموقف من القضايا العامة.

ومن هنا نقول إن الحوار الإسلامي المسيحي له تأثيره القوي على العلاقة بين الحضارتين الإسلامية والغربية.

الملاحظة الثانية:

إننا لا نجد أنفسنا محصورين في الزاوية الضيقة، فإما أن نترك الساحة للقيم المتناقضة فالصدام والصراع أو نلجأ الى المصلحة فتُسحق القيم ويتم التعايش – والمفروض أن التنازل عن القيم يعني الاغتراب عن الذات – إنّ هذه المعادلة باطلة على صعيد العلاقة الإسلامية الغربية وأكثر بطلاناً على صعيد العلاقة الإسلامية المسيحية.

فهناك الكثير الكثير من نقاط الاشتراك بين الإسلام والغرب يمكنهما أن يتفاهما عليها دون التنازل عن القيم. من أمثال (حقوق الإنسان، والديمقراطية، والسلام، والحرب ضد الإرهاب، ومقاومة العنصرية والنازية والفاشية وغير ذلك). وهناك المصالح المشتركة التي تزيد العلاقة قوة.

أما المساحات المشتركة بين الإسلام والمسيحية ففيها اتساع ملحوظ. فهناك تراث قيمي مشترك لا يقدر بثمن فإنّ الملاحظ للنصوص الإسلامية يجد كماً كبيراً من النقل عن عيسى (ع) وأمه الطاهرة نقلاً يوجه الحياة وينقيها. وكمثال على ذلك نجد الشيخ (الكليني) وقد توفي في أوائل القرن العاشر الميلادي في كتابه المعروف (الكافي) [٣٩] ينقل نص مناجاة الله (عز وجل) لعيسى كأروع ما يكون حيث يبدو كما يعبر محمود أيوب (عبداً متواضعاً لله، لكنه في الوقت عينه ولي مقرب عند الله) ثم يعقب فيقول: (من خلال مفهوم التجلي الإلهي هذا تلتقي صورتا المسيح الإسلامية والمسيحية حول نقاط عدة: فالإسلام يؤكد أنّ في مقدور الإنسان، بل من واجبه أن يتقرب الى الله، والتقرب الى الله يتضح جلياً في معراج النبي محمد (ص) حيث وقف أمام الله مباشرة، وصعود المسيح ليجلس عن يمين الله) ورغم وجود بعض النقاش في هذا النص إلا أنه يكشف عن تلاحم بين التراثين. على أن هناك تلاقياً في مجالات كثيرة منها:

- **التركيز على عبادة الله ومحاربة الظلم والطغيان.**
- **الإيمان بالفطرة الإنسانية المبدعة.**
- **الإيمان بمنظومة أخلاقية تكاد تكون واحدة.**
- **الإيمان بحقوق الإنسان.**
- **الإيمان بقيمة التشكيل العائلي.**
- **الإيمان بضرورة التكافل الاجتماعي.**
- **الإيمان بضرورة إحياء الذكريات المصيرية.**
- **الإيمان بقيمة الحياء والعفة الاجتماعية.**
- **الإيمان بالحياة الإلهية المسجدية أو الكنسية.**
- **الإيمان بضرورة خدمة الحضارة الإنسانية.**
- **الإيمان بمنظومة من العبادات والصلوات المزكية للنفس.** وغيرها كثير كثير.

وهناك مساهمات حضارية مشتركة. على أنّ المصلحة وهي في نفسها قيمة دينية تقتضي هذا التعايش؛ إنّ التعاون في الحرب ضد الفقر والمرض والجهل، والعمل لنفي التعصب، والانهيار الأخلاقي، وإشباع الحاجات المعنوية ومقاومة المخططات الشيطانية

لتقويض الكيان العائلي والتشكيك في القيم الدينية، ومقاومة الإرهاب بشتى أنواعه ومنه الإرهاب الرسمي، ورفض أدعياء الدين الذين يخلقون الحروب لمصالحهم الشخصية والفئوية والحزبية ويتسترون بالدين، وغيرها كلها مصالح تدعو الطرفين للتعاون البناء.

العلاقة بين الإسلام والغرب وواجب المسلمين.

الحديث حول العلاقة بين الحضارات اليوم يجد مصداقه الأكمل في العلاقة بين الإسلام والغرب كمفهوم حضاري، وكذلك العلاقة بين المسلمين والغرب كرابطة تعاملية تاريخية، وهو حديث متشعب الجوانب، إلا أنه يبقى حديثاً شائقاً متطلباً للبحث العلمي والاستعراض الموضوعي دائماً. إنه حديث العلاقة بين مجموعتين فكريتين أثرتا أكبر الأثر في المسيرة الحضارية الإنسانية، بغض النظر عن الجوانب الإيجابية أو السلبية لذلك ...

كما إنه حديث العلاقة بين أمتين كبيرتين وحدتهما ظروف ورؤى، وقفتا في وجه بعضهما البعض حيناً وتعاونتا حيناً آخر .. تشابهتا في المسير والمصير، واختلفتا في تبادل الأدوار القيادية عبر التاريخ.

ومن هنا، فإنّ العلاقة الحاضرة لا يمكن فصلها عن التاريخ الماضي .. بل لا يمكن فهمها إلا في إطار المسيرة ككل .. وهل فصل مكونات النظرة الغربية للمسلمين أو الأتراك (كما يسميهم الأوربيون لما للدور التركي من أثر في نشر الإسلام) وكذلك فصل النظرة الإسلامية للغرب عن تاريخ التعامل المتبادل أمر ممكن؟ إلا أن الذي يقف عقبة أمام الباحثين الموضوعيين، هو الإبهام الذي يواجههم، وهم يحاولون تفهم حقيقة التعامل بل وحقيقة المصطلحات التاريخية ومدى عمقها وعموميتها ومصداقيتها وخلفياتها الحضارية! فهل كانت العصور الوسطى عصوراً مظلمة حقاً لكل أوروبا أم كانت كذلك فقط لأوروبا الجنوبية، أما أوروبا المركزية والشمالية فلم تكن تعيش ظلام القرون الوسطى؟ وهل كانت المسيحية سبباً لهذا الظلام أم كانت عنصر قوة، وقف بوجه هذا الظلام؟ وهل جاءت المصائب بعد سيطرة الجرمان على حواضر اليونان والروم بعد أن ذوت وخوت هاتان

الحضارتان ولم تزدهما السيطرة الجرمانية إلا خواء واضمحلالاً؟ وما هي تأثيرات تلك الثورة الكبرى التي أحدثها الإسلام، تلك المسيرة الفتية التي انطلقت من الجزيرة العربية.. هذا المكان النائي والقابع تحت هدوء موحٍ خلال قرون طويلة؟ وهل صحيح ما يقال من أنّ الحركة الإسلامية الفتية بعد أن ترعرعت ونشرت أضواءها على أرجاء العالم المعروف آنذاك ومدت الجسور الفكرية والحضارية مع أوروبا، خلقت ردة فعل ضخمة في الجو العالمي، ومنه الجو الأوروبي الذي كان مبتلى بالتحجر والظلام وجلبت إليها كل أولئك المتنورين أو المثقفين الذين راحوا يقاومون ذلك التحجر الحضاري بشكل قوي دون أن يتحولوا إلى مسلمين، ولكنهم لم يبقوا مسيحيين تقليديين الأمر الذي جرهم خلال عملية صراع مريرة إلى الأومانية والتي سارت بهم إلى مرحلة علمية فريدة شكلت مقدمات لعصر النهضة، وهكذا قامت أسس أوروبا المتمدنة اليوم؟ كل هذه تساؤلات وغيرها أخرى، تشكل مجموعة ضخمة لابد أن يلحظها الباحث حتى يصل إلى الحقيقة.

إلا أنه يصطدم بشتى النظريات، منها المتعصب المتعصب، ومنها الحاقد الحاقد، ومنها الذي يقرب الى الموضوعية منهجاً ويعتمد العمق فهماً، ولذلك فهو يقرب من الواقع المطلوب وهو قليل جدًا حسبما نفهم من مقاييس الموضوعية والفهم.

والذي يبدو من المسلَّمات أنّ الحضارتين تبادلتا الأدوار في المسيرة والتأثير بلا ريب، فبعد سقوط معظم شبه الجزيرة الأيبيرية في أيدي المسلمين عام ٧١١م وسقوط صقلية ومالطا وسويسرا بعد نحو قرنين من الزمان تحت السيطرة الإسلامية على مناطق أوروبية مهمة، تمت عملية تلاقٍ كبرى على الصعيد الحضاري تركت أثرها الكبير في إيجاد التحولات الغربية الكبرى، بعد ذلك، وفي عام ١٠٦٠م بدأت حرب استرجاع صقلية ثم إسبانيا ١٠٨٥م ثم الحروب الصليبية، مما يعني انحسار السيطرة الإسلامية.

ثم عاد المسلمون وانكفأ الصليبيون عن الشرق عام ١٢٩١م واحتل محمد الفاتح (القسطنطينية) عام ١٤٥٣م، وتم حصار (فينا) عام ١٥١٩م، ثم ١٦٨٢م وشاع في أوربا الخوف والحقد، فهي فترة امتداد إسلامي.

ثم اتجهت أوربا إلى إفريقيا وشرق آسيا وكان هناك صراع أوروبي إسلامي على أرض إفريقيا وجنوب شرق آسيا وانتصر الإسلام هناك.

ثم بدأ الهجوم الغربي بنزول نابليون في الاسكندرية عام ١٧٨٩م، وسيطر الهولنديون على إندونيسيا عام ١٨٠٠م، واحتل الفرنسيون الجزائر عام ١٨٣٠م، واحتلت القوات الروسية القوقاز وتركستان في أواسط القرن التاسع عشر، واحتل الانجليز الهند في الفترة نفسها ١٨٥٧م، ونجح الغرب في السيطرة على المحيطين الأطلسي والهندي والبحر المتوسط ومداخل البحر الأحمر، واحتل الإنجليز مصر ١٨٨٢م والسودان، وفي ١٩١٧م دخل الحلفاء بيت المقدس، وفي عام ١٩٤٨م أنشئت آخر قلعة غربية في قلب العالم الإسلامي بقيام دولة (اسرائيل) على يد الإنجليز، وإن كان الحضور الغربي انحسر عن معظم المناطق الشرقية والإفريقية في الظاهر على الأقل.

وهكذا كانت الأيام تتداول ولا ريب في أنّ في هذا التداول الخير والشر والتلاقح الفكري، والظلم والنهب والسلب ومن ثم الحقد والعداء المستمر حتى يومنا هذا.

وحينئذٍ، فإذا شئنا أن ندرس العلاقة بين الغربيين والمسلمين المعايشين لهم، أو الغرب والإسلام عموماً، كان علينا أن نلاحظ هذه الإسقاطات التاريخية على النظرة التقييمية للآخر عند كل من الفريقين.

نظرة الغرب للإسلام والمسلمين

وعندما ننسب هذه النظرة الى الغرب، فإن ذلك لا يعني أننا لا نستثني أحداً وإنما نتحدث عن الظواهر العامة التي تجد مستثنياتها أحياناً. وهذه النظرة موروثة ومستحدثة أيضاً. وهي تتم على عدة صُعُد:

١- الصعيد العقائدي:

فعلى الصعيد العقائدي نجد الهجوم الصاعق على النظرة الإسلامية للصفات الإلهية باعتبار أنّ الإسلام يركز على صفات الجبروت والانتقام والعقاب، وقد سمعنا عن

المدعي العام الأمريكي قوله إن الله في المسيحية يقدم ولده قرباناً وفداء للبشرية في حين يطلب من البشرية في الإسلام أن تقدم أبناءها قرابين له!! وكذلك الهجوم على القدسية التي يملكها الوحي لدى المسلمين، ومن هنا تأتي الدعوة الى عقلنة الوحي، أو مزج الوحي السماوي بعنصر إنساني وهي دعوة تأثر بها حتى بعض مفكري المسلمين، ثم نجد الهجوم على الرسول الكريم (ص) ونعته بشتى النعوت من قبيل الشاعرية الرومانطيقية، والغريزية، مع تغيير لكثير من الحقائق واستفادة من بعض الأحاديث الموهومة، كحديث الغرانيق العلى، فإذا شاؤوا الموضوعية في رأيهم جعلوا الإسلام حصيلة الروح العربية.

وعندما تحرك المرتد (رشدي) ليطلق سبابه وهذره ضد الرسول الكريم وجد مع الأسف في ذهن الغربيين الاستقبال الحسن والدفاع الأعمى عن شخصه الحقير. ناهيك عن الصفات الأخرى التي اتهم بها الإسلام، كالقول بالجبرية والقول بالجمود الفكري وأمثال ذلك من الافتراءات.

٢- الصعيد الحضاري:

وعلى الصعيد الحضاري نجد التصوير الاستشراقي يتحدث عن الخواء الإسلامي ويعتبر التراث الإسلامي حصيلة للتراث اليوناني والمسيحي واليهودي وحتى العلوم الإسلامية جعلوها مستمدة من الرومان والساسانيين وغاية ما فعله المسلمون هو نقل التراث اليوناني إلى الغرب، ولذلك فضل أحد كبار السياسيين الإيطاليين الحضارة الغربية على الحضارة الإسلامية.

أما تخلف المسلمين فهو نقطة الضعف التي ينبزهم الغربيون بها كلما شاءوا ناسبين إياها الى العقيدة الجبرية، وعناصر التوكل والقناعة والنظام الدكتاتوري الحاكم ونقض حقوق الإنسان بما فيها حقوق المرأة الى آخر ذلك من القائمة الطويلة من التهم والافتراءات الصادرة عن حقد دفين.[٤٠]

٣- **الصعيد السياسي:**

ونجد على الصعيد السياسي التهم تتوالى ضد المسلمين بل ضد الإسلام بأنه بؤرة الإرهاب، والصحوة الإسلامية هي في الواقع – كما يقولون – الأرضية المساعدة للإرهاب، ومن هنا فإن من الواجب الوقوف بوجه هذه الصحوة بكل امتداداتها.

نظرة المسلمين للغرب

ولا نقصد هنا أولئك الذين فقدوا هويتهم الإسلامية وانبهروا بالأضواء وتغربوا بالتالي، فإن هؤلاء لا يمثلون الهوية الإسلامية كما لا يمثلون الظواهر الإسلامية العامة، وإنما نريد أولئك الذين يمثلون التيار العام الملتزم عموماً بالإسلام.

وهنا أيضاً نجد التقييم يتم على عدة صُعُد.

١- **الصعيد العقائدي:**

يتصور المسلمون أنّ الغربيين بعيدون عن الاعتقاد بعالم الغيب، وحتى الإيمان بالمسيحية كدين فردي، ويرون أن الأومانية القديمة نسبياً جعلت الفرد ومصالحه بدلاً من الإله وصفاته بل وحتى الإله نزل به الإنسان الغربي إلى الأرض.[٤١]

٢- **الصعيد الحضاري:**

يتم تصور الغرب بأنه رغم تقدمه المادي يستغل إمكاناته للقضاء علىّ كل صفة إنسانية، والاستيلاء على المكاسب الحضارية للآخرين وفرض القيمومة على كل الثقافات عبر إمكاناته الواسعة في مختلف الحقول.

ولا أدلّ على ذلك من استغلاله تصوراته هو عن حقوق الإنسان لفرض قيمومته التصورية على كل شؤون بلدان العالم الثالث، ومنها شؤون العلاقة العائلية بل وحتى العمل على تغيير تعريفها وهي تعني – في تصور المسلمين تفتيت البناء العائلي – ولما كانت العائلة أساساً للبناء الاجتماعي، فإن ذلك يؤدي لتفتيت كل العلاقات الاجتماعية.

وهذا بالضبط ما حدث خلال طرح وثيقة مؤتمر السكان والتنمية عام ١٩٩٥م في القاهرة ووثيقة بكين عام ١٩٩٦م، حيث كان الغرب يصرّ على نشر ما أسماه بالحقوق الجنسية واعتبارها وثيقة دولية يتم بموجبها ملاحقة الدول النامية في تقنينها وعلاقاتها.[٤٢]

كما يتصور المسلمون أن الغرب بتركيزه على النزعة الفردية أكد الجشع ورفض الأخلاق الإنسانية، وأدى ذلك للويلات الاستعمارية المعروفة.[٤٣]

٣- الصعيد السياسي:

يتذكر المسلمون الويلات التي لاقوها من الاستعمار الغربي ويرون أن السياسات الغربية مازالت مستمرة رغم التبجح بالصداقة والتعاون.

ويزيد هذه النظرة عمقاً سياسة الكيل بمكيالين تجاه قضايا العالم الإسلامي، وهي سياسة معروفة المصاديق.

ويدرك المسلمون أن الغرب اليوم يعمل على صياغة عدو موهوم له هو الإسلام ويحاول أن يغذي في نفوس أتباعه هذا الحقد والاستعداد لمواجهة هذا العدو بعد سقوط العدو السابق الشيوعية. الأمر الذي دعا المنظرين لجعل محاربة الإسلام السياسي من أهم أهداف الاستراتيجية الأميركية التي صيغت في التسعينيات.

نظريات غربية

ولابد أن نشير هنا إلى نظريات غربية عنيت بهذا الأمر:

النظرية الأولى:

نظرية (هانتنغتون) القائلة بضرورة الصراع بين الحضارتين، وقد أكدت نظريته التي نشرها في صيف ١٩٩٣ في مجلة (فورين أفيرز) الأميركية أنّ النزاع ضروري بين الحضارات، ورغم أنه عدّ ثماني حضارات إلا أن التأمل في تحليله يحصر النزاع في أطراف ثلاثة في الواقع هي:

الطرف الغربي الأميركي:

والذي هو نتيجة الرنيسانس والإصلاح الذي أنتج الرأسمالية والديمقراطية الحديثة.

الطرف الكنفوشيوسي:

وأفكاره مجموعة رؤى اجتماعية تسود الصين.

الطرف الثالث الإسلام:

وهو الطرف الأصيل في النزاع في تصوره، ورغم تراجع (هانتنغتون) في بعض أحاديثه عن هذه الرؤية العدائية القاتمة، فإن السياسات الغربية مازالت تؤكد هذا المنحى العدواني.

النظرية الثانية:

نظرية (برايان) التي نشرها في (الإكونوميست) في الشهر الثامن من عام ١٩٩٤ ويؤكد فيها أنّ الديمقراطية، هي وليدة الإصلاح في المسيحية في أوائل القرن السادس عشر والذي ركز على مسؤولية الفرد أمام الله، مستبعداً دور الكنيسة، وتحول هذا بعد ثلاثة قرون إلى الفكرة الديمقراطية على الصعيد السياسي والتي سادت جزءاً كبيراً من العالم، ثم عادت بلا منازع بعد انهيار الماركسية، ويرى أنّ القرآن أيضاً يؤكد المسؤولية الفردية ولكن في إطار جبري!!

ولكي يوقع صلحاً بين العالمين الإسلامي والغربي، يركز على ضرورة نفي دور العلماء الذين – يحتكرون – في رأيه الفهم الإسلامي بعد طرحهم مبدأ (الاجتهاد) وهو عملية تخصصية يهاجمها (برايان) بشدة.

ولكي يصل الى مصالحةٍ مطلوبة، يعقد مقارنةً بين القرنين الخامس عشر الميلادي والخامس عشر الهجري، قائلاً بأن كل ظروف الإصلاح في العالم الغربي آنذاك متوافرة في العالم الإسلامي اليوم وعناصر هذه الظروف هي:

١- اليأس من النظام السياسي العسكري الحاكم.

٢- اليأس العالمي العام.

٣- الشوق نحو الإصلاح.

٤- التحريك الخارجي.

وكما وجدت حركة الإصلاح آنذاك، فإنها ستوجد اليوم في العالم الإسلامي. ويرى أنّ القادة المعتدلين في الحركة الإسلامية يمكنهم بطرد عنصر الاجتهاد من الساحة واعتماد الحوار الصحيح، أن يوجدوا الجو الديمقراطي المطلوب. وهنا يدعو الغرب للتعامل معهم، شريطة أن ينبذ النظرة الفردية في السلوك والعمل.

النظرية الثالثة:

نظرية (نهاية التاريخ) وقد حاول فيها المفكر الأميركي ذي العِرق الياباني التأكيد على أنّ الحضارة الغربية هي غاية التاريخ تماماً كما تصور ماركس أنّ الشيوعية هي نهاية التاريخ، ودعا (ياما) الحضارات كلها للسير نحو الرأسمالية.

والحقيقة أنّ هذه النظريات مهدت لظهور فكرة العولمة في مجالاتها الشاملة والتي لا نستطيع إلا أنْ نفسرها بالأمركة في أحسن الأحوال.

التصحيح المطلوب

ومهما قيل عن الصراع، فإن الحوار سيبقى هو السبيل الأقوم والحل الأنجح، ولن يتحقق التفاهم إلا بتحقق التفهم والوعي للآخر وهذا هو الذي يقتضيه المنطق الإنساني وجاءت به الشرائع السماوية وأكده الإسلام ورسم له القرآن الكريم أروع صورة في العديد من آياته الكريمة.

ومن هنا ينبثق واجب التصحيح، فعلى كل من الفريقين أن يصحح صورته لدى الآخر، فيؤكد على عناصر الصحة وينفي عناصر التزييف من الصورة أو من الواقع القائم، ومن الطبيعي أن لا ينتظر منا – نحن المسلمين – أن ندافع عن الغرب وصورته في أذهاننا، ذلك أننا نعتقد صحة ما نتصور، والوقائع يوماً بعد يوم تزيدنا وضوحاً وتأكداً، بل وكلما تعمقنا في كتابات المنظّرين والمؤرخين الغربيين اليوم لتاريخ الصراع، نجد الأمر يتأزم أكثر مما نحن عليه من تصور.

وإلا فماذا يؤدي التأمل في نظرية (هانتنغون) غير الإلحاح في تعميق الصراع ضد (الآخر)، وهل يؤدي التأمل في مقارنة (برايان) بين القرنين الخامس عشر الميلادي والهجري إلا الى السخرية من هذا الهذر التحليلي، بعد أن نلاحظ الفارق الكبير بين التصورين المسيحي والإسلامي عموماً، ونوع الارتباط الاجتماعي بهذين التصورين ونمط الشعارات التي تطرحها الحركة الإصلاحية هنا والحركة الإصلاحية هناك وأساليب التحلل التي طرحت هناك والإصلاح الذي يطرح هنا، ومن هنا نؤكد أن الصورة المكونة في ذهن الغرب عن الإسلام والمسلمين صورة مغلوطة، سواء على صعيد الواقع القائم، أو على المستوى التاريخي، فالصورة الإسلامية لله تعالى هي أكمل الصور وإليها تنتهي رغبة الراغبين، ذلك أنه تعالى هو الكمال المطلق بصفاته الثبوتية والسلبية، وأن الإسلام لم يطرح هذه الصفات ليكرّس الذات الالهية (فالذات الالهية غنية عن كل شيء) وإنما طرحها للانسجام مع مقتضيات البرهان العقلي والفطري، والعمل على الارتفاع بالمستوى الإنساني إلى عالم الكمال، وتحقيق التوازن المطلوب في مجال موقف الإنسان من الواقع بعد أن يتركز في الذهنية الإسلامية التعادل بين كونه تعالى الغفور الرحيم وكونه شديد العقاب.

ويبقى الوحي المقدس أقدس رابطة بين عالم الغيب وعالم الشهادة، ولذلك لا يتحمله إلا الأنبياء (ع)، وما قيل عن عقلنة الوحي، إنما هو محاولة يائسة لمحو الوحي نفسه وجعل النتيجة تابعة لأخس المقدمات.

أما قصة الفداء فهي واضحة البطلان ولا يضحي الإنسان المسلم بنفسه لتكريس رغبات الإله وإنما يعمل لهداية البشرية نحو صلاحها، وأما قصة الفداء على الرواية المسيحية فهي ما لا يمكن أن يصدقه عقل سليم.

ويبقى الرسول الأكرم (ص) أقدس إنسان وأكمله، وتبقى سيرته الرائعة أروع نموذج للإنسان المتكامل بما حوته من صفات لو تجرد الإنسان عن عصبيته ولاحظها، لغرق في بحر جمالها.

أما مقولة الجبرية فهي المقولة التي يتنزه عنها الإسلام تماماً، ولا نعلم مسلماً تخلى عن مسؤوليته بهذه الذريعة(٤٤)، ولا تستطيع المادية المغرقة في العلل المادية أن تنجو منها، وهكذا مقولة الجمود الفكري لا مجال لها في دين يعتمد العقل أساساً للتقييم في شتى المجالات ويفتح الباب للعلم على مصراعيه، السبب الذي نجّى الغرب نفسه في مطلع تعامله مع الإسلام من جموده الفكري على العهد الجرماني وبعده.

وعلى الصعيد الحضاري نجد الإسلام والمسلمين قد قاموا بنقلة حضارية ضخمة لا يمكن أن تقاس بمن سبقوهم، وعندما أخذوا من سابقيهم احتفظوا بالفضل لهم وذكروهم، ولكنهم طرحوا الأمور بشكل جوهري فلا يمكننا مطلقاً أن نقول أنّ المسلمين كانوا مجرد حملة لعلوم اليونان الى الغرب وعندهم أمثال (ابن سينا) و(الفارابي) و(البيروني) والملا (صدرا الشيرازي) وغيرهم.

والحديث عن تخلف المسلمين ذو شجون، وحقيقة الأمر أنّ سيطرة العقليات البعيدة عن الإسلام، سواء على مستوى الدول الوسطى كالمغولية والعثمانية والصفوية، أو على الصعيد الفردي لبعض المتحجرين أو بعض المتميعين هي السبب المهم في التخلف.

على أنه يجب أن لا ننسى أنّ الكثير من التقدم الغربي كان نتيجة النهب الاستعماري لثروات الشعوب، لا الكد الحلال من خلال العمل العلمي والإنساني.

تهمة الإرهاب:

أما تهمة الإرهاب فهي أمر غريب، إنها التهمة التي اخترعت غربياً لمحاربة كل عملية صحوة ضد المصالح الغربية، فإذا قام بها الغرب تحولت إلى عملية مشروعة ويتحقق بذلك مصداق الكيل بمكيالين.

وهكذا تحولت عمليات جهاد الفلسطينيين ضد الغزاة الصهاينة الى عمليات إرهابية، في حين بقيت عمليات الإبادة الجماعية في فلسطين جهاداً مشروعاً في سبيل عودة الشعب المشرد إلى وطنه الأم.

وها هي مذبحة قانا في لبنان، حيث قصفت إسرائيل الشعب الآمن، واللاجئ إلى مقر دولي معترف به، ولكن أميركا بلغت إلى حد طرد الأمين العام لمنظمة الأمم المتحدة، لأنه أصر على نشر تقرير الأمم المتحدة عن هذه المذبحة الفظيعة، هذه إذًا هي العقلية التي تتعامل بها أميركا مع الإرهاب.

وها هي (جنين) المهدمة والمذبوحة وقد منعت هيئة الأمم المتحدة من التحقيق فيها دونما وازع أو رادع.

إنّ تهمة الإرهاب تصدق أكثر من أي مكان على الإرهاب الدولي الذي يقوده الغرب مع الأسف الشديد، ثم يلصقه بالصحوة الإسلامية التي ما نشأت إلا لتدعو إلى تعميم حقوق الإنسان المسلم وإنصافه.

وتقف إلى جانب الإرهاب تهمة الأصولية، كل ذلك للعمل على تفكك الشخصية الإسلامية المقاومة في كل مكان.

أحداث ١١ سبتمبر والهجمة ضد الأمة الإسلامية

لا يتردد عاقل أو متدين في أن أحداث ١١ سبتمبر هي عمل إرهابي مدان، وأنه عاد على البشرية بالفساد الكبير، وأنه دفع بقوة عظمى نحو خطة جهنمية تسلطية تستهين بكل القيم وتتجاوز كل الأعراف الإنسانية والمعاهدات الدولية لتفرض هيمنتها على الشعوب، بل وتفلسف هذا الاعتداء وتعتبره أخلاقياً[٤٥].

وهكذا شهدنا الاستراتيجية الأميركية التي تم وضعها في التسعينيات بعد تعاظم أمر الإسلام الشمولي من جهة وانهيار الاتحاد السوفيتي من جهة أخرى والتي وضعت مسألة محاربة ما أسمته بِـ – (الإسلام المسلح) أو (الإسلام السياسي) أحد أهدافها الكبرى بالاضافة لهدف التفرد في قيادة النظام العالمي الجديد؛ نعم شهدنا التأكيد على هذه الاستراتيجية والإسراع في وتيرتها وخصوصاً ضد الأمة الإسلامية وكان التأكيد على خطة واسعة الأبعاد نشير فيما يلي إلى بعض جوانبها:

أولاً: التشكيك في قيم الحضارة الإسلامية ومفاهيمها، وهناك الكثير من الأمثلة التي طالعنا الغرب بها، كتفضيل الحضارة الغربية على الحضارة الإسلامية من قبل مسؤول إيطالي، وتفضيل العقيدة المسيحية في الصفات الإلهية على العقيدة الإسلامية. والحملة ضد مفاهيم الجهاد وتصورات الإسلام لحقوق المرأة وغيرها.

ثانياً: تعميق الحقد الغربي والعداء للإسلام وكل ما هو إسلامي ومهاجمة المساجد والمراكز الإسلامية والتضييق ضد الأقليات المسلمة وتوجيه أصابع الاتهام حتى للدول التي كانت تعتبرها صديقة لها، وبالتالي العمل على منع الهجرة حتى القانونية رغم حاجة أوربا للهجرة.

ثالثاً: مهاجمة بعض الشعوب الإسلامية بشراسة بتهمة إيوائها للإرهابيين وهذا ما حدث لأفغانستان الجريحة، ومازالت بعض الشعوب الإسلامية مهددة.

رابعاً: الحكم على بعض الدول الإسلامية بأنها محور الشر وما زال الخطر يتهددها كل آن، كما أن بعض الجهات شبه الرسمية هددت باستخدام القنابل الذرية ضد بعض الدول.

خامساً: تم التخطيط لحملة إعلامية وبوليسية ضخمة لضرب المؤسسات المالية الإسلامية والمؤسسات الخيرية الدعوية وتم الضغط على الدول لتغلق هذه المؤسسات.

سادساً: كما تم التخطيط لضرب المؤسسات التعليمية الإسلامية وإفقادها استقلالها، كما تدخل الغرب بوقاحة لدى الدول الإسلامية لتقوم بتغيير مناهجها التعليمية وفق ما يرتئيه الغرب من تصور.

سابعاً: وهناك خطوات نلحظها لتهميش دور المؤسسات الإسلامية الدولية.

ثامناً: تصعيد الحملة التي بدأها الغرب بنفسه أو من خلال عملائه قبل الأحداث في مجال نشر المفاسد الأخلاقية والخلاعة والتحلل والاستهانة بالمقدسات وإضعاف اللغة العربية وترويج العامية ومحاربة الحرف العربي (كما في آسيا الوسطى) وإشاعة العلمانية

وتعميق الخلافات بين الدول الإسلامية وتداخلها ومحاربة عنصر (الاجتهاد) والتشكيك في صلاحية الإسلام لهذا العصر وضرورة الاتجاه نحو تطبيق قيم الحضارة الغربية وغير ذلك كثير.

تاسعاً: وأهم الجوانب محاولة إغلاق الملفات المزعجة وفي طليعتها قضية فلسطين، فقد أعطت أميركا الضوء الأخضر (لشارون) ليقوم بتصفيتها، واستفاد هذا من ظروف الرعب وجعل عمليته ضد الفلسطينيين جزءاً من المرحلة الثانية للحرب ضد الإرهاب، وقام بما يندى له جبين الإنسانية وساعدته أميركا بكل وقاحة وصراحة، ونسي الغرب كل تاريخه في تمجيد المقاومة وكل شعاراته في الحرية والديمقراطية وحقوق الإنسان والشرعية الدولية، وحتى جنايات العدو الصهيوني في (مخيم جنين) لم تستطع الأمم المتحدة رغم صدور قرار بذلك أن تحقق فيها وهي في الأصل واضحة للعيان وموثقة ومشهود لها من قبل شخصيات دولية.

الموقف الصحيح على المستوى الدولي

وكخطوة استراتيجية من أجل ردع الإرهاب بكل أشكاله ومضامينه ومصادره، نرى ضرورة قيام منظمة الأمم المتحدة بالتصدي لهذا المشروع وتبنيه، شريطة إحداث آليات جديدة تحول دون قيام الدول الكبرى بحرف المشروع باتجاه مصالحها الخاصة وممارسة الضغوطات على المنظمة لتسيير طوع أهدافها الاستكبارية. ومن هنا يمكن لمنظمة الأمم المتحدة أن تكون مرجعاً عالمياً للحملة الشاملة ضد الإرهاب وفرض السلام العادل في الأرض. ونرى أن مقدمات هذه الحملة تتمثل في:

١- المساواة في الحقوق والواجبات بين الدول الأعضاء في منظمة الأمم المتحدة، ومنع هيمنة دولة أو أكثر على قراراتها، ولا سيما ما يرتبط بالآلية غير العادلة التي يضع مجلس الأمن الدولي قراراته من خلالها. فهذه الآلية تسببت مثلاً في استمرار الإرهاب في أكثر من بقعة من بقاع العالم، ولا سيما في فلسطين، إذ استخدمت الولايات المتحدة الأميركية حق الفيتو عشرات المرات لمنع إصدار قرار من مجلس الأمن الدولي يكبح جماح الإرهاب الصهيوني.

٢- رفع الظلم عن الشعب الفلسطيني والشعوب المجاورة لفلسطين، والتي تتعرض للانتهاكات والإرهاب من قبل الكيان الصهيوني.

٣- إحداث آلية دولية تمنع استمرار دعم الدول الكبرى للأنظمة والكيانات الدكتاتورية والعنصرية، وكذلك المنظمات والجماعات الإرهابية.

٤- محاربة الفقر والجهل والتعصب الأعمى والمرض وكل مظاهر التخلف وكذلك أمراض المدنية الحديثة، ووسائل الإعلام والفن التي تشجع على العنف والعنصرية، وتضعف المعنويات والقيم الأخلاقية على مستوى العالم أجمع؛ لأنها تمثل الأرضية الطبيعية التي تترعرع فيها النزعات الإرهابية.

ويتم العمل بدلاً من ذلك على:

أ - تعميم منطق الحوار بين الحضارات والأديان.

ب - تشجيع الديمقراطية المنسجمة مع القيم.

ج - المساعدة على تنفيذ برامج التنمية في العالم.

د - تقوية المنظمات الدولية وحذف عناصر الهيمنة فيها.

هـ - الارتفاع بالمستوى المعنوي والقيم الأخلاقية وتعميق دور الدين في ذلك واحترام الأدوار العائلية في عملية البناء الاجتماعي.

و - توجيه الحالة المعلوماتية لخدمة البشرية.

ز - أنسنة الفن واستخدامه لصالح الأهداف العليا وغير ذلك.

٥- الحيلولة - بكل الوسائل - دون استغلال الدول الغربية الكبرى للأحداث وتحويلها الى صراع حضارات وحرب بين الأديان وتصفية حسابات مع بعض الأنظمة، على حساب الشعوب.

٦- تخفيف معاناة شعب أفغانستان، ودعمه بالغذاء والكساء والملجأ والدواء وغيرها من وسائل العيش الابتدائية.

٧- العمل الجاد على إعادة السلطة الكاملة للشعب العراقي ليختار مصيره بنفسه، وعدم التحايل على هذا الشعب الجريح.

٨- استمرار الحوار بين عقلاء البشرية من أتباع الأديان والحضارات والمذاهب، وتكثيفه وتعميقه، بهدف خلق رأي عام عالمي يمارس دوره في نشر العدالة والسلام والمحبة بين جميع شعوب العالم.

ولا شك أن السلام الذي ننشده وتنشده البشرية هو السلام العادل الذي تتكافأ فيه الفرص، ويعطي كل ذي حق حقه، وينصف فيه المظلوم، ويعاقب المعتدي، إذ إن السلام العادل هو الكفيل فقط باقتلاع جذور العنف والإرهاب، أما السلام المفروض وغير العادل فهو تسطيح للمشكلة والإبقاء عليها ناراً تحت الرماد؛ لأن المجرم يتساوى فيه مع الضحية، وتضيع جراءه الحقوق، وتكون سياسة الأمر الواقع هي الحكم. وبالتالي ستعود أعمال العنف كما كانت وربما بكثافة أكبر. وهذا ما يجعل السلام غير العادل سبباً في استمرار المشاكل وبؤر التوتر، وهو ما نشهده في أكثر من بقعة من بقاع العالم.

الحل على مستوى الأمة

إن الحل على مستوى يكاد يكون من الواضحات ويتركز على ما يلي:

أولاً: رفع مستوى الوعي لدى جماهير أمتنا في مختلف المجالات (فهم الإسلام وأهدافه، فهم الواقع القائم، فهم الموقف).

ثانياً: العمل على تعميم تطبيق الشريعة الإسلامية في كل الشؤون الحياتية.

ثالثاً: تطبيق عملية تربية شاملة لمختلف قطاعات الأمة وفق تعاليم الإسلام.

رابعاً: العمل بكل ما من شأنه توحيد موقف الأمة عملياً ولا نريد لهذا العمل أن يكون خياليًا كما لا نريده أن يكون استسلامياً بل يجب أن يتبع المنهج الوسطي الواقعي على ضوء الأهداف المرسومة.

خامساً: العمل على تقوية المؤسسات الشمولية الإسلامية وإيجاد ما يلزم إيجاده ومنحها حرية أكبر في التحرك عبر آليات جديدة وفاعلة وواعدة.

سادساً: وضع خطة شاملة للاستفادة الأفضل من الإمكانات السياسية والاقتصادية والإعلامية والجغرافية والمادية والطاقات الجماهيرية والعلمية والثقافية وتعبئتها في عملية المواجهة.

سابعاً: التغافل أو تأجيل بعض النزاعات الجانبية أو الثانوية خدمة للهدف الأهم واستجابة لقضية التزاحم في الأولويات.

ثامناً: الشد من أزر الأقليات المسلمة – وتبلغ حوالي ثلث مجموع المسلمين في العالم – بالتأكيد على وجودها أولاً ووحدتها ثانياً وهويتها ثالثاً، وتقوية مجالات التلاحم بينها وبين الأمة الأم.

تاسعاً: التركيز على دعم مؤسساتنا الخيرية ومؤسسات الإغاثة والدعوة وعدم تركها في مهب الريح وعدم انزلاقها في مداخل الخلافات الجانبية والمذهبية والسياسية.

عاشراً: الاحتفاظ بأصالة التعليم واستقلالية المؤسسات التعليمية وعدم الخضوع للضغوط الخارجية لتؤدي دورها المطلوب على وجه أتم.

حادي عشر: الاستفادة الأفضل من المؤسسات والمنظمات الدولية الأخرى غير الحكومية لصالح قضايانا العادلة.

ثاني عشر: الوقوف بحزم وتخطيط في قضايانا المصيرية وأهمها قضية فلسطين.

وفي هذا المجال نقترح:

١- تضافر كل الجهود الإسلامية لإفشال خطط شارون لتركيع الشعب الفلسطيني وإنهاء الانتفاضة الباسلة.

٢ - القيام بحملة لدعم المنكوبين وترميم الخراب وتكليف كل دولة غنية بسد جانب منه.

٣- ضرورة التأكيد على كون القضية الفلسطينية إسلامية وتعبئة كل الطاقات الإسلامية لذلك.

٤- ضرورة اتخاذ كل الخطوات والاستفادة من كل الإمكانات القانونية والمحافل الدولية لفضح جرائم الصهيونية.

٥- عدم السماح لأميركا للاستفراد بالقضية وأمثالها وعدم الاعتماد على الحلول الأميركية.

٦- لزوم التفكير الجدي للعودة لنظام المقاطعة الشاملة بل وتنفيذ المقاطعة الشعبية فوراً.

٧- لزوم تفعيل الدور السياسي لمنظمة المؤتمر الإسلامي في هذا المجال خصوصاً في مجال المطالبة بتنفيذ القرارات الدولية.

٨- لزوم العمل دولياً على وضع تعريف شامل للإرهاب والتفريق بينه وبين المقاومة المشروعة.

٩- لزوم الاستفادة الفعالة من إمكانات المنظمات غير الحكومية على غرار ما جرى في مؤتمر (دوربان) في جنوب إفريقيا.

****

للتوسع في البحث تراجع المصادر التالية

١ - ارنولد، توماس، الدعوة إلى الإسلام.

٢ - الإسلام وعصر التمدن، مجلة اشبيغل ١٩٩٢/١/٢٠م.

٣ - برايان، السيد بيدهام، الإكونوميست اللندنية بتاريخ ١٩٩٤/٨/٦م.

٤ - بروكلمان، تاريخ الشعوب الإسلامية، بيروت، دار العلم للملايين.

٥ - بن نبي، مالك، الصراع الفكري في البلاد المستعمرة.

٦ - توينبي، أرنولد، الإسلام والغرب.

٧ - (جريدة فرانكفورت الجمانتيه)، بتاريخ ١٦ أكتوبر/ ١٩٩٥م.

٨ - الحرب الباردة لأوربا ضد الإسلام، جريدة (يولند بوستن - بلجيكا)، بتاريخ ١٣٧٣/٨/٢٠هـ ش.

٩ - الخربوطلي، علي حسن، المستشرقون والتاريخ الإسلامي.

١٠ - رومان، رئيس الجمهورية الألمانية، خطاب بمناسبة إهداء جائزة نوبل للسيدة ماري شميل.

١١ - سلمان، الأستاذ سمير، الإسلام والغرب - إشكالية التعايش والصراع، كتاب التوحيد الثاني، س١، ط١، سنة ١٩٩٥م.

١٢ - سوذرن، ريتشارد، صورة الإسلام في أوربا في العصور الوسطى.

١٣ - غارودي، روجيه، (من أجل حوار بين الحضارات)، ترجمة ونشر: الدكتور ذوقان قرقوط، دار النفائس بيروت، ط١، ١٤١١ هـ - ١٩٩٠م.

١٤ - كاهن، كلود، تاريخ العرب والشعوب الإسلامية.

١٥ - ماريا بيا، العالم الإسلامي وقضاياه التاريخية.

١٦ - وات، مونتغمري، فضل الإسلام على الحضارة الأوروبية. وغيرها.

١٧ - هونكه، السيدة زيغريد، شمس الإسلام تشرق على الغرب.

****

الهوامش

١ - الرحمن/ ١ - ٣ .

٢ - الكهف/ ٥٤ .

٣ - البقرة/ ٢٦٠ .

٤ - الأنفال/ ٤٢ .

٥ - البقرة/ ١٥٠ .

٦ - النساء/ ١٦٥ .

٧ - البقرة/ ٢٥٧ .

٨ - راجع (الكافية) للجويني ص ٥٤٠، و(قاموس الشريعة) للسعدي ج٣، ص٦ .

٩ - سورة يوسف، ١٠٨ .

١٠ - سبأ، ٢٤ .

١١ - القصص، ٤٩ .

١٢ - المحجة البيضاء في شرح الإحياء، للغزالي، ج١، ص ٩٩ - ١٠٠، والغزالي في إحياء العلوم، ج١، ص ٤٣ .

١٣ - الزمر، ١٨ .

١٤ - آل عمران، ٦٦ .

١٥ - غافر، ٥٦ .

١٦ - المحجة، ج١، ص ١٠١ .

١٧ - البقرة، ١٧٠ .

١٨ - الزخرف، ٢٣ - ٢٤ .

١٩ - الزخرف، ٥٨ .

٢٠ - الكهف، ٥٤ .

٢١ - النمل، ٦٤ .

٢٢ - راجع الجويني في الكافية ٥٤٢ - ٥٤٩ .

٢٣ - سبأ، ٤٦ .

٢٤ - الإسراء، ٨٥ .

٢٥ - النازعات ٤٢، ٤٣، ٤٤.

٢٦ - الرعد، ١٧ .

٢٧ - المحجة البيضاء، ج١، ص ١٠٠ .

٢٨ - آل عمران، ٦٤ .

٢٩ - سبأ، ٢٥ .

٣٠ - النحل، ١٢٥ .

٣١ - الإسراء، ٥٣ .

٣٢ - العنكبوت، ٤٦ .

٣٣ - من قبيل ما كتبه الكثير من الكتاب الإسلاميين كمحمد محمد حسين، والعقاد، ومحمد حسنين هيكل، والمطهري، والسيد الصدر، والندوي، وكتاب غربيون مثل جون اسبيزيتو وب . بيسكاتوري، وفرانسوا بورجا، وجيل كبيل ور. ديكميجيان، وشيرين هنتر، وابراهام برايان وغيرهم.

٣٤ - مستقبل الإسلام والغرب صدام حضارات أم تعايش سلمي: ص ٩٦.

٣٥ - الواشنطن بوست، ١٩ يناير ١٩٩٢.

٣٦ - Paris: Editions La Decouverte 1995/ 107.

٣٧ - من الترجمة العربية لكتاب (الإسلام والغرب) لشيرين هانتر، ص ٩٨.

٣٨ - (الإسلام والغرب)، شيرين هانتر.

٣٩ - روضة الكافي، الجزء الثامن، ونقله عنه ابن شعبه الحراني في آخر كتاب (تحف العقول) وتحدث عنه بالتفصيل البروفسور محمود أيوب في كتابه (دراسات في العلاقات المسيحية الإسلامية) ج١، ص٦٤ .

٤٠ - راجع علل الاتجاه نحو المادية للشهيد المطهري (ترجمة الكاتب).

٤١ - يقول الشهيد الإمام الصدر: إن الإنسان الأروبي ينظر إلى الأرض دائماً لا إلى السماء. وحتى المسيحية - بوصفها الدين الذي آمن به هذا الإنسان مئات السنين - لم تستطع أن تتغلب على النزعة الأرضية في الإنسان الأروبي، بل بدلاً عن أن ترفع نظره إلى السماء استطاع هو أن يستنزل إله المسيحية من السماء إلى الأرض ويجسده في كائن أرضي (اقتصادنا ص ٣٥).

٤٢ - راجع كتاب (مؤتمر السكان والتنمية في القاهرة وتضارب الآراء حوله) للكاتب.

٤٣ - يقول الشهيد الصدر (إن الاستعمار ليس تعبيراً اقتصادياً عن المرحلة المتأخرة من الرأسمالية، وإنما هو التعبير العملي بصورة أعمق عن العقلية المادية بمقاييسها الخلقية، ومفاهيمها عن الحياة وأهدافها وغاياتها)، اقتصادنا ص ٢١٣ طبعة مشهد.

٤٤ - راجع (الإنسان والقدر) للشهيد المطهري، ترجمة الكاتب.

٤٥ - راجع نص الوثيقة التي أصدرها ٦٠ من المنظرين الأميركيين وقد قام بعض المفكرين الإسلاميين من شتى الدول بالرد عليها.

****

ملخصات البحث باللغات

(العربية والإنجليزية والإسبانية والفرنسية)

صورة الآخر

الشيخ محمد علي التسخيري

تتعرض الورقة الى مسألة غاية في الأهمية متمثلة في الحوار والاجتهاد، حيث من حق الإنسان أن يجادل ويناقش ويشكك حتى يستقر على الحقيقة المطلقة، ويتوصل إليها عن طريق قناعة عقلية، ويعبر بها العقل إلى كل وجوده ليطمئن بها قلبه. وقد شجعت النصوص الإسلامية كافة، منطق الحوار للوقوع على صخرة الحقيقة، وهي التي جعلت التفهيم والتفاهم والإقناع الوسيلة الإنسانية الحضارية للتواصل والتأثير والتأثر والتفاعل الإيجابي لتبيان الحقيقة. إنها الدعوة الإسلامية الواضحة البينة، والتعامل الإنساني بالفكرة والمنطق والحوار، أما الإكراه وخلق الأجواء الموهمة والإعلام المضلل وشراء الأفكار فهو منطق الطاغوت. وإنه ليخطئ من يتصور أن الحوار منطق الضعفاء! كلا بل هو منطق الأقوياء. إن الإسلام ومنذ انطلاقته المباركة سمح لعملية الاجتهاد أن تؤتي ثمارها ولكن في إطارها الطبيعي وهو فهم الموقف الإسلامي تجاه السلوك الفردي والاجتماعي من خلال سبر المصادر التي جعلها الإسلام مرجعًا لآرائه.

يحدد الكاتب شروط الحوار في الإسلام بما يلي:

١ - الحوار بين المسلمين المختلفين في الشؤون الشخصية.

٢ - الحوار بين المسلمين المختلفين في القضايا الاجتماعية.

٣ - الحوار بين الفقهاء.

٤ - الحوار العقائدي.

٥ - الحوار بين الأديان.

٦ - الحوار بين الحضارات.

ولتحقيق هذه الشروط مجتمعة لا بد من تحرير محل الحوار، والموضوعية والواقعية والمنطقية وتكافؤ المتحاورين، والابتعاد عن تأثير العقل الجمعي، واحترام الرأي والطرف الآخر، والدقة في التعبير واختيار الألفاظ.

إضافة إلى ذلك، هنالك بعض المصالح والقيم الإسلامية – الغربية. مثال ذلك:

١ – مسألة سعي الغرب أو الحكومات الموالية له إلى تهميش العالم الإسلامي والمظاهر الإسلامية.

٢ – عمل المفكرين الإسلاميين على الاستفادة من ظروف الانفتاح الإنساني وحقوق الإنسان بغرض إثارة الحماس في العالم الإسلامي.

٣ – مسألة انقسام المجتمعات الإسلامية إلى خطوط ثقافية تقدمية أو رجعية وصراع هذه الخطوط.

نتيجة لذلك انقسم المحللون الغربيون إلى فريقين: الأول يرى أن مجال التصالح بين الغرب والإسلام مغلق ونفقه مظلم، لأن الإسلام يرفض الغرب جملة وتفصيلاً ولا يسمح بالتعايش أو الانسجام مع الحداثة أو التغريب.

أما الفريق الثاني فيرى إمكانية التعايش نتيجة حيوية الإسلام وقدرة التجربة الإسلامية على التغير والتكيف. وإذا كان الكاتب ينعى على الفريق الأول بعده عن فهم طبيعة الإسلام المرنة، وفهم حقيقة الصراع الطويل بين العالم الإسلامي والعالم الغربي، فإنه في الوقت ذاته ينكر على أتباع الاتجاه التوافقي الغربي اعتبارهم قيم الحضارة الغربية هي الأصل، ومدى قدرة الإسلام على الانسجام معها هو المعيار في حيوية ومرونة الإسلام. ويتساءل الباحث: هل يريدون أن يتنازل الإسلام عن قيمه ليرضى اليائسون والتوافقيون الغربيون؟ ولماذا هذا التنازل والامتهان وهناك الكثير من نقاط الالتقاء بين الإسلام والغرب دون التنازل عن القيم مثل حقوق الإنسان، والديمقراطية، والسلام العادل، والحرب ضد الإرهاب ومقاومة العنصرية والنازية والفاشية، وغيرها كثير.

هناك مجموعة من الإسقاطات التاريخية التي كان لها كبير الأثر على النظرة السلبية للآخر على عدة أصعدة، منها العقائدي والحضاري والسياسي. وعلى الرغم من الصراع القائم سيبقى الحوار هو السبيل الأقوم والحل الأنجع، ولن يتحقق التفاهم إلا بتحقق التفهم والوعي للآخر، وهذا هو الذي يقتضيه المنطق الإنساني وجاءت به الشرائع السماوية وأكده الإسلام ورسم له القرآن الكريم أروع صورة.

فعلى كل من المسلمين والغرب أن يصحح صورته لدى الآخر، ولمنظمة الأمم المتحدة دور هام من حيث المساواة في الحقوق والواجبات بين الدول الأعضاء، ومنع هيمنة دولة أو أكثر على قراراتها، وعدم الكيل بمكيالين وتطبيق العدالة وفرض السلام العادل.

تخلص الورقة إلى الاقتراحات التالية:

١ - تضاف كافة الجهود الإسلامية لإفشال خطط الصهيونية التي تهدف إلى تركيع الشعب الفلسطيني، وفضح جرائم شارون.

٢ - العمل دولياً على وضع تعريف شامل للإرهاب والتفريق بينه وبين المقاومة المشروعة.

٣ - عدم السماح لأميركا الاستفراد بالقضية الفلسطينية وأمثالها، وعدم الاعتماد على الحلول الأميركية التي تتخذ من شريعة الغاب مبدأ لها.

****

Arab-Islamic Civilization and the West: From Disagreement to Partnership

Correcting the Image of the "Other" Between Islam and the West.

Sheikh Muhammed Ali Al-Taskheri

"Summary"

The paper demonstrates a very crucial matter represented in interlocution and discretion because it is man's right to argue, expostulate, and express skepticism to recognize the absolute truth and reach it through full satisfaction and understanding. The Islamic scripts have encouraged logic of dialogue to discover truth, which make understanding, mutual agreement and persuasion the human and cultural means of communication, influence and positive interaction to reveal the truth. It is the apparent Islamic mission and human interaction by thought, logic and dialogue, rather than coercion, creation of illusive atmosphere, misleading media, which are considered the idol's logic. It is wrong to believe that interlocution is the logic of the powerless or helpless, rather it is the logic of the powerful.

Islam has admitted the discretion process to flourish but within its natural framework, which is embodied clearly in understanding the Islamic attitude towards the social and individual behavior by probing the resources, which are considered references for Islamic thinking.

The conditions of dialogue in Islam are:

1. **Dialogue among Muslims who disagree in personal affairs.**
2. **Dialogue among Muslims who disagree in social matters.**
3. **Dialogue among Muslim scholars.**
4. **Ideological interlocution.**

5. **Interlocution among religions.**
6. **Interlocution among civilizations.**

To achieve these conditions, we must liberate the object of dialogue, objectivity, truth and logic. In addition, there should be competence among interlocutors, avoidance of collective mind, respect other's opinion and accuracy in expression and best choice of terms and words.

The paper talks about the Islamic-Western values and interests and other important issues, such as:

1. **Endeavor of the West or supporting governments to marginate the Islamic world and characteristics.**
2. **Endeavor of Muslim intellectuals to benefit from the circumstances of human openness and rights and evoke enthusiasm of the Islamic world.**
3. **The division of Islamic societies into cultural trends whether revolutionary or reactionary, and the conflict among these trends.**

Thus, Western analysts are divided into two parties. The first suggests that reconciliation between the West and Islam is completely closed with darkness because, as they claim, Islam rejects the West morally and does not allow coexistence or conformity with modernity or Westernization. On the other hand, the second party is very optimistic about coexistence because of Islam's vitality and the ability of Islamic experiment to change and adjust.

The writer blames the first party for misunderstanding the flexible nature of Islam. At the same time he rejects the ideas of the second party who claims that the values of Western civilization are the origin and the ability of Islam to conform to these values is the standard of Islam's vitality. The writer raises the question: Do they want Islam to give up its values so as to satisfy the Western desperates

and those who are in agreement with Islam? Why all this concession and contempt although there are many positive issues where both Islam and the West can agree upon such as: human rights, democracy, peace, war against terrorism; resistance of racism, Nazism, Fascism, and other issues mentioned in Islamic texts.

The paper talks about a group of historical repercussions, which had a great impact on the gloomy image of the "other"; namely Islamic image of the West and vice-versa from the political, cultural and ideological point of view. Despite the existing conflict, the writer suggests that interlocution will be the best means and most successful solution. To achieve everlasting understanding and agreement, each side should correct his image of the "other".

The United Nations has a great role in imposing equality in rights and duties among the member countries, and prevent the dominance of one country or more on its resolutions, implement justice, impose fair peace and stop the policy of double measure.

Finally, the paper recommends the following:

1. **Collaboration of Islamic efforts to thwart Zionism plans aiming at humiliating the Palestinian people and to disclose Zionism crimes in Palestine.**
2. **Co-operation of the international community to draw a comprehensive definition of terrorism and separate between terrorism and legal resistance.**
3. **Stop America from practicing dominance single-handedly over the Palestinian issue and other similar issues, and ignore the American solutions that take from the law of the jungle a principle for her actions.**

✷✷✷✷

Mejorar la imagen del otro
Entre el Islam y el Occidente

Por/ Muhammad Ali al-Taskhiri

Resumen

Este trabajo discute una cuestión de capital importancia: el diálogo y el iytihadíu (1)en el Islam que garantiza el derecho del de cada individuo en polemizar, discutir y sospechar hasta llegar a la Realidad absoluta mediante la convención racional a través de la cual consigue el sosiego espiritual. Los textos islámicos invocan a seguir todas las formas de diálogo y todos los medios civilizados de convención, comprensión, confluencia positiva que conducen a la Realidad. Esta es el verdadero mensaje del Islam, mensaje de diálogo y comprensión. Mas la coerción, los climas fantásticos, la información engañosa y la compra de ideologías son todos propios de los tiranos. La idea de que el diálogo es el camino de los débiles es realmente errónea, porque la verdad es el de los fuertes. Desde sus comienzos el Islam ha abierto el camino para el iytihad en su marco natural basado en las conocidas fuentes de la religión.

El autor califica el diálogo en su trabajo de la manera siguiente:

1 - El diálogo entre los musulmanes sobre las discrepancias en los asuntos personales.

2- El dialogo también entre los musulmanes sobre las discrepancias sociales.

3- El diálogo entre los alfaquíes o jurisconsultos islámicos.

4- El diálogo sobre cuestiones dogmáticas.

5- El diálogo de las religiones.

6- El diálogo de las civilizaciones.

---

(1) liste termino islámico signiCica esforzarse en elaborar un dictamen independiente basado en las cuatro Fuentes de la jurisprudencia islámica: el Corán, la sunna (tradición del Profeta), la unanimidad de los ulemas y la analogía.

Para garantizar el éxito de cualquier diálogo, éste debe basarse en; concretar las cuestiones objetos del diálogo, la objetividad, el realismo, la lógica, la igualdad de los dialogantes, respetar al otro y precisar las palabras y expresiones.

Además, hay que destacar estas cuestiones y valores de interés islámico-occidental:

1- Los intentos continuos del Occidente y sus aliados para marginar al mundo y los valores islámicos.

2- Los intentos de los intelectuales islámicos de aprovechar la abertura humana y la cuestión de los derechos humanos para convocar el entusiasmo en el mundo islámico.

3- La existencia en el mundo islámico de dos tendencias culturales contrarias: la progresiva y la reaccionaria.

Debido a ello los analistas occidentales se encuentran divididos en dos bandas: algunos opinan que la conciliación entre el occidente y el Islam es imposible e inalcanzable porque el Islam rechaza al Occidente en suma y en detalle y no permite convivir con el modernismo o el occidentalismo; los otros opinanm lo contrario y perciben la posibilidad de convivir con el Islamdebido a la vitalidad de éste y su capacidad de cambio y adaptación.

Aunque el autor lamenta en el primer grupo la incapacidad de comprender el carácter flexible del Islam y -la realidad de la lucha larga entre él y el Occidente, niega, sin embargo, la tendencia conformista de los otros que consideran a los valores occidentales como el único criterio con que valorizan la vitalidad y la flexibilidad del islam. El autor, por consiguiente se pregunta: ?Qué es lo que quieren unos y otros del Islam? ?Quieren que se prescinda de sus valores para coincidir con lo occidental? Y ?Porqué insistir en ello, existiendo múltiples punto de encuentro entre el Islam y el Occidente, tal como los derechos humanos, la democracia, la paz, la guerra contra el terrorismo, el rechazo al racismo, el nazismo y el fascismo y muchos aspectos más?

No hay duda en que la visión negativa occidental hacia el Islam se debe a varias falsificaciones históricas en los aspectos culturales y políticos. A pesar de la lucha permanente entre ambas partes, se queda el diálogo como la única salida que, sin una mutua comprensión, sería inalcanzable Esta es la solución que impone la lógica, confirma el Islam y determina el Sagrado Corán y las otras legislaciones divinas.

Urge, entonces, que cada uno mejore su imagen ante el otro, y que la ONU asuma su importante papel en defender los derechos de todos sus miembros sin distinción; evitar que un país, o varios, dominen las soluciones; aplicar la justicia sin diferencia de criterios.

Finalmente, el autor llega a las conclusiones siguientes:

1 - Dirigir todos los esfuerzos islámicos frustrar los planes del sionismo destinados a someter al pueblo palestino y revelar al mundo los crímenes de Sharon.

2- Ponerse el mundo de acuerdo sobre una definición precisa del terrorismo y distinguir entre éste y la resistencia legal.

3- Rechazar la decisión unilateral de los Estados Unidos sobre la cuestión palestina y no dar crédito a las soluciones americanas basadas en la lógica de la fuerza absoluta.

✸✸✸✸

Rectification de l'image de l'"autre" entre le monde musulman et l'Occident

Cheikh Mohamed Ali Al Taskhiri

Cette feuille s'intéresse à un problème très important qui réside dans le dialogue et L'interprétation personnelle. Ainsi chaque personne a le droit d'interpréter, de discuter et de mettre en cause jusqu'à la découverte de la vérité absolue qu'elle atteindra par une conviction profonde avec laquelle, la raison traverse son existence pour rassurer son cœur.

Tous les textes musulmans ont encouragé la logique du dialogue pour atteindre le rocher de La vérité et ont fait de l'entente, de la conviction et du fait de faire comprendre, le moyen humain et civilisé de l'établissement des contacts, de l'influence et de l'interaction positive Pour faire apparaître la vérité. C'est l'appel clair et explicite de l'Islam et c'est le comportement humain basé sur l'idée, la logique et le dialogue. Quant à la contrainte, à la création de climats de confusion et d'informations trompeuses, à l'achat des consciences, c'est la logique du démon.

Celui qui croit que le dialogue est la logique des faibles a tort, non, il est la logique des forts.

L'Islam a, dès ses débuts bénits, permis à l'interprétation de donner ses fruits, mais dans son cadre naturel qui est l'appréhension de la position de l'Islam vis à vis des comportements Individuels et sociaux à travers la pénétration des références que l'Islam a choisi pour ses opinions.

L'auteur définit les conditions du dialogue dans l'Islam comme suit:

1. **Dialogue entre les musulmans en désaccord sur les affaires personnelles**
2. **Dialogue entre les musulmans en désaccord sur les problèmes sociaux.**
3. **Dialogue entre les théologiens**
4. **Dialogue idéologique**
5. **Dialogue entre les religions**
6. **Dialogue entre les civilisations.**

Pour réunir ces conditions, il faut liberaliser le dialogue, cela demande aussi l'objectivité, le réalisme, la logique, l'égalité des parties. Il faut aussi s'éloigner de l'influence de la raison additive, il faut respecter le point de vue de l'autre, être précis et bien choisir ses mots .

En plus de cela, il y a certains intérêts et valeurs partagés par l'Islam et l'Occident:

1- **L'effort entrepris par l'Occident et les Etats qui lui sont affiliés pour marginaliser l'Islam et ses apparences.**

2- **Le travail des penseurs musulmans pour exploiter les conditions d'ouverture humaines et les droits de l'homme afin de susciter l'anthousiasme dans le monde musulman.**

3- **Le partage des sociétés musulmanes entre des courants culturels, progressistes ou réactionnaires et la lutte entre ces divers courants.**

Suite à cela, les analystes occidentaux se sont divisés en deux groupes:

1- **Le premier voit que l'espace de la reconciliation entre l'Occident et l'Islam est fermé et son tunnel est obscure, parce que l'Islam rejette l'Occident dans sa totalité et ne permet ni la cohabitation ni l'harmonie avec la modernité et l'occidentalisation.**

2- Le deuxième groupe voit la possibilité de la cohabitation grâce à la vivacité de l'Islam et à la capacité de l'expérience islamique à changer et à s'adapter.

Si l'auteur, blâme le premier groupe, pour sa distance de la compréhension de la nature souple de l'Islam et de la réalité de la longue lutte entre le monde musulman et le monde occidental, il reproche en même temps à la tendance reconciliatrice occidentale le fait qu'elle considère les valeurs de la civilisation occidentale comme étant l'origine et que donc,la capacité de l'Islam à s'harmoniser avec elle, est le critère de sa vivacité et de sa souplesse.

Le chercheur se demande: Est-ce qu'ils veulent que l'Islam fasse des concessions sur ses valeurs pour plaire aux désespérés et aux conciliateurs occidentaux?

Pourquoi ces concessions et ce mépris alors qu'il y a beaucoup de points de rencontre entre l'Islam et l'Occident comme les droits de l'homme, la démocratie, la paix juste, la guerre contre le terrorisme, la lutte contre le racisme et le nazisme fashiste et autres…

Il y a des fuites historiques qui ont influencé la vision négative de l"autre" sur plusieurs plans: idéologique, politique et de la civilisation.

Malgré la lutte actuelle, le dialogue reste la voie la plus appropriée et la solution idéale. L'entente n'aura lieu que si on prend conscience de l'"autre" et qu'on le comprenne. C'est ce qu'impose la logique humaine et c'est ce que les législations divines ont apporté. L'Islam l'a confirmé et le Saint Coran en a donné des illustrations merveilleuses.

Les musulmans et l'Occident doivent réhabiliter, chacun, son image chez l'autre. Là, l'ONU joue un rôle important à travers l'égalité des droits et des devoirs entre les Etats members et le refus de l'hégémonie d'un pays ou de plusieurs sur ses decisions, l'application de la justice, l'exigence de la paix juste, loin de la politique de " deux poids, deux mesures .

La feuille about it aux propositions suivantes:

- **Rassembler tous les efforts islamiques pour faire échouer les plans sionistes qui visent la génuflexion du peuple palestinien et dévoiler les crimes de Sharon.**
- **Trouver une définition internationale globale du terrorisme et faire la différence entre le terrorisme et la résistance légitime.**
- **Empêcher l'Amérique de s'isoler avec le problème palestintien et d'autres semblables. Ne pas se plier aux solutions américaines dont le principe est la loi de la jungle.**

****

رئيس الجلسة:

والآن مع بحث الدكتور فرد هاليدي الذي نسعد بحديثة في هذا اللحظات فليتفضل مشكورًا.

****

Sense and Nonsense in Opposing Anti-Arab Prejudice: the Case of the BBC and the Kilroy-Silk Dispute

Fred Halliday

The issue of stereotyping and prejudice is one that invites generalisation and broad claims of historical continuity. Much of the discussion of this subject with regard to Muslims and Arabs has, in recent years, involved broad claims about ‘the West’ and ‘Islam’, treating this as unitary entities, as well as claims about the current forms of such prejudice and earlier historical periods, such as the Crusades, the Iberian Reconquista or the Ottoman invasion of Europe. In regard to the latter, much is made of such general categories as identity, folk memory, faultlines, the popular unconscious ands, of course, our dear friends the clashing civilisations. IK have argued elsewhere that, valid in some cases as such generalisations may be, they more than often than not mislead, in understanding either the Islamic or western worlds. I have argued instead, in my book ‘Islam and the Myth of Confrontation’, for disaggregation in regard to both western and Muslim countries, and for an approach to history that begins by questioning the apparent inheritance of the past by the present: the past may, if evidence is produced to this effect, be seen as determining the present, but, more often, the present, in particular political and religious leaders reformulate, select and, on many occasions, invent the past to meet present purposes. Claims about the historical continuity of prejudice over centuries, of about some deep European, Islamic or western collective unconscious, are

methodologically as well as historically questionable. To make the most elementary sociological point: values and ideas, including prejudices, can only be transmitted from one generation to another, let alone across centuries, if there is a practice of socialisation of the each new age group. This has to be done through the agencies of this socialisation – the family, education, society, the state, the media. There is nothing automatic, or eternal, about it. People are not born with prejudices, about Muslims, Arabs or Europeans, in their blood or in their brains: these have to be consciously instilled. This entails that if claims about continuity are made, these claims have to be demonstrated to be valid, and evidence produced. Talk of ideas that are deep in 'the Arab mind', or 'the soul of Islam', or 'the European psyche' are baseless and misleading. This is true in sociological terms, but it has an important contemporary, and political, consequence: the formulation of ideas about other peoples in the world of today is not the result of some inherited history, or of deep and uncontrollable cultural substructures. It is the result of actions taken consciously, and for reasons of social, ideological and political power, by agents in the contemporary world: it is these agents, whom we can identify and contest, who are the bearers of images of the 'Other', and of defining how other peoples are represented and seen.

Against this background, this paper will take the path not of generalisation across countries and centuries, but of a particular, but revealing, case of stereotyping and of the reactions to this. The argument involves detail, but the intention is to show, through examining this one case, how some of the more general trends in contemporary prejudice formation have developed. In January 2004 a major public dispute broke out in Britain in response to a newspaper article written by the writer and broadcaster Robert Kilroy-Silk. Kilroy-Silk, a former Member of Parliament and now a popular presenter of a morning television discussion programme, had written,

as part of a regular column in the press, an article critical of Arabs and Muslims, denouncing them for being ruled by corrupt and dictatorial elites, and for having made no broader contribution to world culture.

This episode is interesting at several levels, none of them encouraging for the broader cause of relations between the Muslim world and the west: first of all it demonstrated how, whatever progress had been made in recent years in identifying and countering anti-Arab stereotypes, these ideological perceptions continued to live on and be reproduced; the second significant fact was that, despite the clearly racist and prejudicial nature of what Kilroy-Silk had said, the BBC waited several days before disciplining him, and, when they did cancel his show, they gave him compensation worth over $900,000; thirdly, and most worryingly, political leaders of left and right, and the overwhelming majority of public opinion supported Kilroy-Silk and backed his right to what was termed ‘free speech’. The late Albert Hourani, a British professor of Lebanese origin born in the Arab community in Manchester, once said that being brought up as an Arab in early twentieth century Britain was like living in an Ottoman millet: a forma separation of communities, based on some respect, prevailed, but at any moment the natives could ‘turn nasty’. On the occasion of the Kilroy-Silk episode, the natives most certainly did turn nasty and, what was worse, were indulged in so doing by BBC and politicians alike. For these reasons this episode, although sparked by a man with no intellectual weight at all, and who it would appear knew nothing and cared nothing for Islam or the Arabs, merits closer attention.

Prejudice against Muslims and Arabs has been rife in recent years, here, in Europe and the USA (contrast the indulgence of Irish republican terrorism by US politicians and Hollywood alike, with the hostility to Arabs and Muslims). Such prejudice has, in general , escaped the conventions of decency and accuracy now extended to

other, previously abused, communities – Jews, blacks and among them, not to mention women, gays and the handicapped. This alone makes Kilroy-Silk's outburst of January 2004 even more grotesque, if one substitutes 'Jew' or 'black' for Arab, and it should be part of our job, in the media or universities, to work against this kind of stereotyping. The man may an alumnus of the London School of Economics, where I teach, but, given my Irish origins and his odious attacks on the Irish some years ago, I have always taken pleasure in refusing the, several, invitations I have received to appear on TV with him.

1. Arab Political Discussion.

One impression given by the Kilroy-Silk argument may be that his remarks about dictatorship in the Arab world need to be said in the UK because they are not being said in the Middle East. This is a ridiculous and ignorant claim. We do not need Kilroy-Silk's flat-footed generalisations about Arabs to make this point, and he should not be allowed to get away, as he tries to do in the press, with proclaiming himself as a champion of human rights in that region. Anyone who has worked over recent years, as have many BBC journalists, with Amnesty International and Human Rights Watch will know that these heroic and independent organisations have published many, detailed, iterative and denunciatory reports on Middle East states, the violations of human rights, gender conventions and the rules of war. These are all in the public realm. So are many, measured, and precise, studies by Middle Eastern writers themselves, published of course outside their own rulers, on repression by their own states: just for the record, one could mention, as examples of two countries, Kanan Makiya and Falah Abd al-Jabbar on Iraq, and Ervand Ebrahamian and Reza Afshari on Iran. There is a large literature, some of it in translation, be it by feminists (including the excellent NGO 'Women Living Under Muslim Laws' and women short story writers

from the Arabian Peninsula), intellectuals, and members of ethnic minorities like the Kurds, on their experiences of oppression, on political and social grounds, within the Middle East.

There are real problems about freedom of expression and publication in the Middle East and in most cases it is getting worse: the degradation of the intellectual climate in Egypt over the past decade and a half is a striking example of this, as the cases of Nasir Abu Zaid, Saad al-Din Ibrahim and others demonstrate. Most Middle East states are authoritarian, despite cosmetic tolerance of NGOs and 'civil society', their media are often of a formality that outdoes Brezhnev on a bad day, and there is in particular far too much collusion by western journalists, especially those working for English-language papers in the region, all of which are a disgrace from one side of the Middle East to the other, with the fancies of power. Too many pictures are of men sitting exchanging views' on a Louis XV sofa with some minister or dean. On one occasion, I read in the paper a report of the deep discussions I had had with the chairman of the local university, and the historic co-operation agreement I had signed between our two higher education systems: the only thing was that, the previous day, my visit had been cancelled and never took place. As someone who writes on Middle Eastern societies and has to supervise students who need documentation and source material from them, I am also all too aware of the limits of much that is available in the public domain from these countries. There is also a dreadful practice of quoting selectively from what other people say, removing all criticisms of the Arab world or of Muslims. Recently I gave an interview to a Gulf paper on Muslim-western relations, and made my conventional point that the process of stereotyping is two-way: there are idiots in the west who try to exploit this, but also idiots in the

Middle East who do the same thing the other way around. Next day the headline ran: 'British Professor Says West Still Prejudiced Against Islam'. My criticisms of much of the press in the Arab world were omitted.

The growth in recent years of book censorship is also ominous: until recently books were relatively freely circulated in the Arab Gulf states and shown at annual book fairs, but this has changed recently, under the influence of conservative Muslim groups operating from below. Books by non-Muslims like myself, but also by liberal Muslims, like the Moroccan Mohammad Arkoun, or Nasir Abu Zaid, are now banned as well. I think local states have too easily run for cover on this, but the pressure to silence is not coming just from above. The BBC had, of course, no need to be reminded of this, with the two notorious examples of the Arab reaction to the film 'Death of a Princess' in 1981, and the sudden pulling of the plug on the BBC Arabic TV service, after it rebroadcast a Panorama programme on Saudi Arabia, in 1996 – the latter episode being one in which, if I may say so, the BBC did not acquit itself in what one might call the Falklands Spirit.

The anti-Arab prejudice consists not in pointing to authoritarian rule and censorship in the Middle East: it consists in suggesting that it is only westerners, or people outside the region, who are aware of this. It lies in denying the depth of criticism that comes from within these societies themselves. The idea that people in the Middle East do not know this, do not express it and that there is not a lively critical, and sardonic, culture about those in power is the opposite of the truth. Indeed Arabs often complain that the British do not have a culture of political humour (when did one last hear a joke about Blair, or the Royal Family?), but at any party or private gathering you go to, in the Arab world, Iran or Turkey you will find people retailing these jokes,

many of which are of an unbroadcastable kind, involving mollahs, donkeys, lecherous tigers, the more outrageous orthodox views on personal conduct (Jews and Muslims, whose clerics are obsessed about these things, always ‘get’, i.e. understand, each other’s jokes on this matter), the sons of incumbent presidents, and the private practices of their rulers. I do not want to romanticise these things, and I have sat through my fair share of official speeches in the region, but I have had over the years far more lively conversations, and hilarious and indiscrete discussions, with Middle Eastern friends and colleagues than I have had in the often uneasy, bien-pensant, salons of the western world.

Two examples of this popular scepticism. A few months after the revolution in Iran, in the summer of 1979, I was in Tehran. On the roads out of town in the evening rush hour little boys would try to sell food or string or whatever, but also something known as Kitab-iShukhi-yi Ayatollah Khomeini – ‘The Ayatollah Khomeini Joke Book’, which turned out to be a selection of the most preposterous sections of his writings on personal hygiene, married life, and, with the imagination of a failed novelist, quite a lot else. In another case, a wonderful Iraqi writer Khalid Kishtainy, who lives in London, has published a book Arab Political Humour which goes into this and is a fair match for the book on European and communist political humour by Stephen Lukes, No Laughing Matter. All my Middle Eastern students love it, but sadly the European and American students cannot understand it. Kishtainy has also published in English two works of political satire, Tales From Old Baghdad. Granma and I, and Tomorrow is Another Day. A Tale of Saddam’s Baghdad, in which a man, released from prison and unable to find a job, learns that if he marries a ‘war widow’ from the 1980-1988 Iran-Iraq war, he will get a grant and a Chevrolet. He decides to marry four at the same time, and this is the start of his troubles. Israel is a bit different, and I am not

alone in having heard Israelis and diaspora Jews worry whether the Yiddish sense of humour has been lost in translation as it were, but the humour of both Israelis and Palestinians has, to date, survived the most difficult of political conflicts.

Arabs and Iranians are also very aware, and in private very voluble, about the conduct of their rulers. They do not need Kilroy-Silk to champion their cause: indeed I have not noticed his name among those who have written, spoken, demonstrated or protested against the denial of human rights in those countries in recent decades. One Arab army officer, who I had known for about twenty minutes, once cheerfully told me: 'All our rulers are thieves'. Most people in Iran detest the ruling mollahs, something which accounts for the fact, one that few in the UK realise, that Salman Rushdie is very popular there, even when they do not know what he said; one Professor of Literature at a noted Arab university told me a while back that The Satanic Verses was the greatest Muslim novel of the twentieth century, a judgement with which I do not actually agree. Some of the Arabic press printed in London, notably Al-Hayat, does publish in its opinion pages articles of a critical and open kind about states, religion and so forth. Sometimes, all too rarely I know, people are licensed to say this in public. One example of the latter is the former Saudi Arabian ambassador here, Ghazi al-Ghosaibi, in his 1982 Arabian Essays, where he gives an incisive general critique of Arab politics and governments, including a chapter simply entitled 'The Bribeocrat'.

These things are not measurable, but my sense of travelling in different places, including Latin America and East Asia, is that Middle Eastern people are less thin-skinned, much more able to laugh about themselves, their neighbours and their rulers, than elsewhere in the world. The gold medallists in this regard are for my money the

Egyptians, whose jokes about their leaders, from Nasser onwards, are outstanding. The Iranians come second, though their conspiracy theories are by a long chalk world champions, beating even the Serbs and the Chinese (75% of whom, so a recent poll tells, believe the SARS epidemic was invented by the CIA to undermine their economic success). When I went to Iran after the revolution, many people told me that if you lifted Khomeini's beard, you would see the words 'Made in England' on his chin. Of course, in the Tehran street, when people stopped and asked me where I came from and I told them London, they immediately blamed it all on the BBC. The fact that, throughout that revolution, the BBC Persian Service only once broadcast a recording of Khomeini's voice seemed to escape them, as it did the right-wing politician Lord Chalfont, an admirer of the former Shah, and others, who were carping back here. Some of these latter people had, as I have reason to know from a friend who worked in the hospitality section of the Shah's court, been recipients of lavish hospitality, and of a fine carpet delivered on the night before they left (guests being ranked into List A, for carpets over $10,000, and List B, for those under this figure – I have list but doubt if I could handle the consequences of publishing it, though I can reveal that most US visitors were in List A, and most British in List B).

2. Getting Prejudice in Proportion: Between Complacency and Alarmism.

The analysis and critique of prejudice has to be based not just on sound sociological principles, about how such ideas are reproduced and diffused, but also on realism. Prejudice is like crime – we can contain, reduce and punish it, but we cannot hope to abolish it. We cannot aim to prevent, or eliminate, all racism stereotyping in the media, and public life, and it is self-defeating to try to do so. In talking to Muslim and Jewish colleagues about their respective concerns, I do

argue that, while we must remain firm on these questions, they have to accept that some degree of this rubbish will last for decades. But the continuation of prejudice, of which we can see evidence in the press and statements of politicians every week, does not justify broad claims about clashes of civilisations or generic western ´plots´ against the Muslim world. The 'west' as a whole, whatever this catchall phrase means (in my view not much) is not embarked on some global 'anti-Islamic' campaign. The Irish writer Dr. Conor Cruise O'Brien, one of my intellectual heroes, because of his rejection of the nationalist prejudices of his own people, has said that 'Anti-semitism is a light sleeper', to which some might reply that it never went to sleep in the first place. But there is change, up and down, in this regard, and not every prejudicial remark by a politician or clergymen, many of which are given double use against Jews and Irish alike (e.g. not 'fitting in', 'not being on side', not being 'entirely rooted in this country' etc.), is the last stop before genocide. It is important, given that, to identify whether and how far the trends are getting worse, or better. As a number of members of the UK British community have recently argued, there are certainly more cases of anti-Jewish racism by Muslim immigrants in Europe. We saw this in the last British general election where people like Mike Gapes MP were targeted, in a way that went beyond legitimate criticism, by pro-Palestinian groups in his constituency in Essex; yet the overall trend may be much more mixed, and certainly does not give support to the idea of some underlying European anti-semitic regression, a point talked up to excess in the USA. Without being complacent about the UK, the press and public response to the appointment of Michael Howard to be head of the Conservative Party, i.e. the lack of any significant response or

concern to the fact that he is Jewish, may be significant in this regard. I was surprised at, but registered, what some Israeli students at LSE, concerned about a long-term conflict in Israel, have told me, namely that the only country in Europe they would consider settling in is the UK. One explained it to me this way: ‘When we see how other European countries treat their Muslims, we know that they will, one day, treat us the same way’.

Beneath public and polemical debate about anti-Arab prejudice, there is also what I sense is the false claim of historical continuity. This is of more than academic interest. To repeat what was said in the introduction to this paper: I am opposed, unless these can be proven, to claims that somehow these things go back centuries, and are products of deep civilisational structures: this is what I have termed ‘Fault-line Babble’. It sounds wise and great to talk about these things as ancient trends, but this is often inaccurate. Prejudice of any kind has to be reproduced across the generations, and if there is such contemporary racism it is for contemporary, not atavistic, reasons. A good example is the changing European uses of the term ´Muslim´: Prejudices also change: in Auschwitz, as the Italian writer Primo Levi wrote, the term ‘Muslim’ was used to denote those who had lost the will to live and become completely passive, the complete opposite of to-days jihadi youth; ditto, changing stereotypes of Jews as being passive being replaced by ones of Israelis as ferocious soldiers. Everyone now writers about how important the Crusades are in modern resentment among Muslims against the west, but my impression is that until a few years ago, and until Saddam and Osama began going on about them, no-one and no-one away from the Mediterranean area, such as Iranians or Pakistanis, cared about the

issue at all. To specify: if the Crusades mean something to Muslims or Christians today it is not because of some deep unconscious continuity of affect going back to late eleventh century, but because writers, politicians, religious leaders in the world of today chose to make an issue of this conflict.

This change in political culture is also pertinent to the question that is central to the Kilroy-Silk argument, namely the attitudes of the British public as a whole to Arabs and Muslims. Far from this being some deep colonial residue, my research, and sense, suggest that the very categories of 'Arab' and 'Muslim' were never until the last ten years particularly common in the UK political culture, in contrast to, say, France where, because of the North African connection, they held the place which for us is held by South Asians. A simple historical test on this concerns two events in Indian history, the Black Hole of Calcutta, and the 1857 'Mutiny' or 'Uprising'. Everyone who knows British history knows about these, but I wonder whether one in a hundred, or a thousand, could tell you (a) whether the perpetrator of the Black Hole was Hindu, Muslim or Sikh and (b) what the religion of the 1857 rebels was. In post-1945 British colonial history, there have been many enemies, objects of stereotypical hostility (the Zionist Stern Gang and Lehi in Palestine, the Kenyan Mau Mau, the Greek Cypriot EOKA, Malayan communists, the IRA to name but some) but not one of these was Muslim or Arab, or categorised as such. One cannot be sure of this but I have no recollection of any work of British colonial history, or its aftermath, that propagates negative stereotypes of Arabs. This is not true elsewhere, as a quick look at the Tintin comic books, published in Belgium, and full of now dated images of Arabs and Berbers among others, will show: in parentheses, on the occasion last week of the 75th anniversary of the first episode, Tintin in Russia, these were re-issued last week in DVD but with the

volumes on the USSR and the Congo removed, one can only assume for different reasons – and that the portrayal of Arabs was still deemed acceptable.

The entry into UK political discourse of categories of Arab and Muslim may owe something to the presence of British forces in Egypt in World War II, but it is mainly a result of the Rushdie affair, of 1989, an own goal by self-apppointed spokesmen of the Muslim community in the UK which some, at least, have come to reconsider. When Muslim representatives say to me that Rushdie's novel should be banned because it offends them, I refer them to the verses of the Koran concerning Jesus Christ, a prophet for Muslims, but who, according to the holy text, was not the Son of God, was not Crucified, and did not rise from the dead, all claims that are, by normal Christian standards, blasphemous. My suggestion is, therefore, to leave the issue of blasphemy alone.

In this vein, and against the natural tendency to see such attitudes as endemic in non-Muslim/gentile culture, and talking with Jews and Arabs, and others, it can be argued that this issue, of unstated historical premise, is vital. It is vital to identify historical discontinuity as much as continuity, to persuade writers not to think in terms of some timeless 'Anti-whatever' prejudice lodged in the subconscious of the western, or Christian or modern psyche, and to focus on the most egregious examples of prejudice, of which the anti-Arab Kilroy-Silk case or the anti-Jewish promotion of the 'Protocols of the Elders of |Zion' are certainly examples. This means that racist prejudice, of all colours and beliefs, is a fact of to-day's multi-ethnic, and transnationally globalised, world: like crime, or like the rain, or earthquakes, it is a fact we have to live with, but can, and should, take reasonable precautions against, to contain.

The issue of prejudice is also, unfortunately, far wider than that of Muslim-European relations. We live in a world which is awash, normally just below the surface of public utterance, of prejudice against other peoples and religions: within the last year have heard, from foreign residents in London, quite a number of outrageous things about other peoples, often equally disadvantaged. These are put a small sampling of what is out there, most of it completely unselfconsciously declaimed. This inter-ethnic tension, at times jostling but often much worse than that, is one of the less attractive, and unstudied, dimensions of globalisation. This is evident in the west but, as I can attest from working in the Middle East, is also found there, against other peoples, by Arabs and Persians of each other, but Turks and Arabs, by Jews and Kurds and so forth. There is no way, especially with a kind of globalised rancour that affects many diaspora communities, that this can be legislated out of existence, but we can all do what we can to contain and shame it.

Another premise concerns singularity, the belief of those who protest that the prejudices against them are, somehow, unique. Certainly, they are felt as such, but, as with say, unemployment or crime, these evils may, without denying some uniqueness, be set in an aggregated context. One of my first, academic but also political, instincts is to take any one instance of prejudice and challenge its singularity, to put it in comparative perspective – in other words complaints about anti-semitism and Islamaphobia (a term I do not like and think is inaccurate, preferring anti-Muslimism) should be matched by what we know about other prejudicial views. Everyone tries to claim that they, and implicitly they alone, or especially, are victims of some external, global, conspiracy against them. All view any attempt people like I, or the BBC, make to say things are not so bad, or are changing for the better as blindness and collusion, yet this too needs to be said: one has only too look at the changing coverage by The Sun of

black and gay issues over the past three decades to see how things do get better. I liked very much what I heard a Catholic bishop on the BBC some days ago saying, in response to a question about what realistically we could do about anti-semitism. His reply was: ‘Vigilance and Solidarity’, to which I would only add, to cover both education and the media, including the BBC, ‘Information and Education’, an ongoing, never completed, task.

3. Robust Secularism: Against ‘Islam-Lite’.

My last thought may appear contrary, but is one that I have come to on the basis of quite a number of years broadcasting on, and in, Middle Eastern countries, and that is that, in an attempt not to offend ‘communities’ and ‘faiths’, in some ways the BBC and media can be too soft on ‘Islam’. I do not mean this in regard to religion as belief in the supernatural, and the rituals attached to this, but in regard to accepting without comeback or criticism claims, many of them claims which any Muslim would know to be preposterous, which supposed ‘representatives’ of the Muslim world and Muslim community in the UK make. I do not want to light on John Humphreys personally, although I have on occasions chafed under his insistent interrogation, as I think the issue pertains also to media producers, editors, those who brief interviewers and so on. But it is evident that representatives of such groups are not subjected to the kind of civil, but informed and insistent, questioning which is given to politicians or people from mainstream public life.

I have been live, on the World Service, and in the immediate aftermath of September 11, and to my considerable embarrassment, with representatives of violent and bigoted Muslim groups, whose identity has not been vouchsafed to the listeners, and who have propounded a wholly inaccurate and sectarian view of what ‘Islam’ is supposed to be. Here the presenter made no attempt to cross-question

or challenge what this particular fanatic, all dressed up in reasonable-sounding phrases, had to say. As I wrote to the World Service at the time, if I had been asked if I agreed to appear with this man, or had been warned he would be brought in during a one-hour studio discussion, I would have refused. Another striking example of this indulgence of bigots, was to be heard on the Today programme 12 January 1999, in connection with Muslim attitudes to the kidnapping of British tourists in Yemen, four of whom were, if I recall correctly, shot later that morning. The person being interviewed told John Humphreys that the BBC audience should know that military training was a duty for all Muslims, and that in every mosque in Britain, young Muslim men were receiving military training. Now both these claims are false, in dogma and empirical fact respectively: but the interviewer did not come back at him, because he was not briefed on how to come back, or/and because he/his editor/the BBC were worried about appearing to contradict a self-proclaimed, if utterly mendacious, 'representative' of something we have come to call 'the Muslim community'.

I have often heard interviewers asking Muslim representatives about the 'Islamic' view on this or that, assuming which is quite false that there is one, single, reading of the issue in question – the status of women, the environment, globalisation or whatever. As an observer of politics, sociology and money, I would have to say that there is no such thing as a single 'Muslim' community in the UK, even more than there is a single 'Jewish' or 'Christian' one, and that we are already well down a slippery slope of communitarian and relativist indulgence when we allow supposedly 'holy' or 'devout' men to represent all those who come from their own countries. This is what my late and doughty former colleague Ernest Gellner called 'Cannibalism for the Cannibals'. They are free to say what their personal view is, or what one particular interpretation of the holy text is, but not to claim that

their opinion is representative or indicative of a unitary sacred message (which on all questions, other than the unity of God, does not exist.)

Some courageous voices within the UK, such as independent and openminded Muslim foundations and intellectuals, and the resolute and much abused Yasmin Alibhai-Brown, have sought to represent the variations of Muslim society, not least those of nation, class and gender, but they are very much the minority in the media. Such diversity among Muslims in the UK was present, but largely unseen and unreported, during the Rushdie affair, 1989-1991. We recall that this only became an issue months after the book was published and when political groups in India and Pakistan began to make a fuss about it.

The attitude of the Yemeni community, the oldest Muslim group in the UK, was to say, and do, absolutely nothing. Their argument was very simple: if the man has committed blasphemy (which, incidentally, he did not, because in English this means insulting God and Muhammad is not, like Christ, supposed to be half divine, and to claim divinity for the Prophet in Islam is itself blasphemous), then Allah will punish him; the main problems facing the Yemenis in Sheffield and Rotherham were unemployment, integration of newly arrived Yemenis, racist attacks on pensioners on the upper deck of buses and funding, supported not least by the community's best friend in Sheffield, David Blunkett, for community projects. The Yemenis were not alone, but had more reason than most to suspect, in thinking that the hullabaloo about Rushdie had involved some transfer of funds from fundamentalist donors, keen to appear more militant than their Shiite rivals in Iran, to South Asian 'community' groups here.

In this context, I would make a plea for what many of my colleagues and most politicians seem to regard as a lost cause, a

starting point of secularism in the analysis of public and political life. Some effort has been made in recent years to broadcast more programmes about 'understanding' Islam and the Muslim world but most of this, be it on BBC or the independent channels, is usually 'Islam-Lite', apologetic and inaccurate PR which leaves the viewer no sense of the power structures, oppression of women and ethnic minorities, the manipulation of texts and the very variety of opinion within these countries. No one watching such programmes would be prepared for the variety of inter-ethnic tensions within the Muslim world, the possibilities for various interpretations of the Koran (a process known as naskh), or the very lively debate about the implications of Islam for economic and social life that have taken place in Iran, Pakistan and Egypt over many decades. To take an obvious example of such simplification: our pious clergymen here all tell us that Islam is against alcohol, whereas the Koran itself, in its earlier chapters, enjoins the believer to take wine (khamr) for good health and, among other sensual delights (for men only, I hasten to add) promises 'rivers' of it in paradise; moreover the culture, cuisine and social life of most Muslim societies has given a central role to alcohol and its delights over many centuries. The great mediaeval Arab medical textbook by al-Razi contained a whole chapter on the benefits of alcohol, but this was removed from the latest edition printed in Beirut.

These sympathetic documentary films about Islam often do a disservice, not a service, to the peoples and cultures of these countries. They can, therefore, tell us a bit about architecture and culture in these countries but are wholly misleading about people's lives and attitudes. This contrast is immediately evident if, instead of bland commentaries on the greatness of some single Islamic civilisation, one reads novel by contemporary Turkish, Iranian and Arab writers, such as the Egyptian Neguib Mahfouz, or the cinema of Muslim countries – such

as the recent flowering of Iranian cinema, the films of the Egyptian Yusuf Shahin, or the very moving, but not widely distributed in the Arab world, Lebanese film West Beirut, which describes the breakdown of social cohesion and the rise of violence at the beginning of the Lebanese civil war in 1975. The films of the Lebanese woman director, Randa Chahal Sabbaq, such as A Civilised People, also made these points. Similarly I tell students that if they want to get behind the official views of Israel they should Israeli novels, by David Grossman or Amos Oz.

The stick has been bent rather to far in favour of the supposedly ‘devout’ and ‘sage’ in recent years. It is, more generally, misleading in broadcasting to run to holy writ or supposed ‘tradition’, the latter too often treated in indulgent fashion, i.e. to analyse modern inter-ethnic and political issues in terms of religion and the interpretation of holy texts. People do not consult holy texts when they buy a car, go to work, brush their teeth or go to a football match. This is quite apart from the fact that the texts, depending on which bit you chose, give contradictory answers. Recently, British commentators have rather sold the pass on this question. In the UK we do not, except in a rhetorical and inaccurate sense, live in a ‘multi-faith society’ at all, we live in one where there are, internally pluralistic and ever-shifting, religious groups, most of whose efforts go to spiritual causes, like faith, prayer, death and the afterlife, with very little relevance to public economic and social life. Most British people, most of the time, do not involve or recruit religion for the things they do in the course of their daily life, and this goes for Muslims too. Even when the British public do religious things, like Christmas and Easter, the sacred has been largely evacuated. We have all, if I may so, yielded too much to the patriarchs in beards, muttering on about holy texts. It might be good to bend the stick the other way, even at the risk of annoying our Prime Minister and the man, amiable but ill-informed, who is known in the Arab world by the engaging title of Amir Wales.

Conclusion

Anti-Muslim and anti-Arab prejudice are a significant and too infrequently challenged part of the political culture of Western Europe and the USA. While this draws on certain elements in history, such as the Crusades, or the Ottoman siege of Vienna in 1683, and while it uses elements of religious and national tradition, this prejudice is above all a product of the contemporary international situation and of the uses to which such stereotyping is put by demagogic writers and politicians within the western world. Such prejudice will never be discussed or legislated out of existence, but it can be contained, reduced and, on occasion, sanctioned by law. This involves, however, avoiding the trap of countering one set of myths about the Arab and Muslim worlds with another, in critiquing prejudice and biased writing in the west and in the Middle East, and in basing such a critique on sound methodological principles, not empty claims about historical continuity and generic ´Western´ ideas. The case of Kilroy-Silk in the UK in 2004 raises, in a specific way, many of these questions and may serve better to elucidate the underlying questions and appropriate response than broad generalisations about the clash of western and Islamic civilisations.

✷✷✷✷